روايــة

أُنثى على قيدِ الحُلم

رفاه عثمان العياش

أُنثى على قيدِ الحُلم

الاهداء

إلى كل أنثى علّقت عمرها على حبائل الأحلام

عقدت قران قلبها سراً

كابرت جهراً

فهبت رياح الواقع العاتية وأجهضت حُلمها

ونزفت بصمت

ياسمين

كنت أكبر إخوتي ولعل العمر يتناسب طرداً مع حجم الألم ..

لطالما نأيتُ بنفسي عن الحب واكتفيتُ بمراقبة قصصه عن بُعد

لكن ذاكَ النأيُ وتلك المراقبة لم تغيرا من رأيي به شيئاً

كنت أراه قيداً .. وجعاً .. كذبةً

ترفّعتُ عنه لأن اسمي أنقى من أن يعبث به أحدهم باسم الحب

وقلبي أطهر من أن تطأه أقدام المارّة

كنتُ على قدرٍ من العلم والثقافة وربما الغرور يميزني عن فتيات جيلي

اللاتي عِشنَ تجارب الحبّ بحلوها ومرِّها ..

كنتُ أُشفق عليهن على سهرهنّ .. انتظارهنّ .. دموعهنّ ..

و أيقنتُ أن أغلى ماتملكه الأنثى هو كبرياؤها ،، قلبها ،، دموعها

فكيف أُسوّل لنفسي أن أدع أحدهم يعبث بكل ذلك

مرّت مراحل حياتي على غفلةٍ مني ربما لأنني كنتُ الأكبر في عائلتي لم أجد وقتاً سوى لدراستي

كان اسم والدي يحمّلني مسؤولية أكبر فأنا ياسمينته المدللة التي يعتمدُ عليها في كل شيء

انتهت مرحلة المراهقة وأنا بكامل وعيي أن مثلي لا يحقٌّ لها أن تعيشها إلا في بعض طيشٍ مع صديقاتها وضحكاتٍ بريئة

دخلتُ الجامعة ودرستُ في قسم الإعلام هذا كان جُلّ أحلامي وقتها أن أدرسَ ما أحب

وعلى نفس وتيرة السرعة مرّت سنوات الجامعة ...

كانت الكتب أكبر من أن أجد وقتاً لغيرها

كنت أؤمن أن الأنثى تستطيع أن تعتمد على نفسها في كل شيء

دون أن يكون هناگ ظل رجلٍ يلاحقها وقد يشقيها يوماً

يكفيها سنداً والدها مُختصرُ الرجال في عينيها

إلى أن يحينَ موعد زواجها بتوقيت تقاليد عائلتها ....

....

رفاه العياش

حديثُ جارات الحيّ

لا أدري كيف اتفقنَ نسوةُ الحي وبناته على حديثٍ واحد لعدة أيام

لم أعد أسمع إلا اسمه وعودته بعد طول غياب ..

ابن الجيران الذي سافر منذ سنوات ليكمل دراسته في" لندن "

ويختص طبيباً في جراحة الأعصاب

لا أذكر سوى أني قد لمحته يوماً حين جاءنا مودّعاً كنتُ منهمكة

في دراستي ولم أهتم لأمره حتى أن صورته لم تعلق بجدران ذاكرتي ..!!

لطالما كنت ألوم من يترك وطنه حتى وإن كان بقصد الدراسة

فالعلم في جامعاتنا لايقلّ شأناً عن جامعات الغرب

الغرب الذي سحرَ معظم الشباب لكنه لم يجذبني يوماً..

كنتُ أشفق عليهم حين يتفتح الياسمين وهم في غفلةٍ عنه ،،

حين يعصف الشتاء وهم في حرّ المنافي ،،

حين يورقُ الشجر وهم يستظلّون تحت أشجارٍ لا تمتّ لذكرياتهم بصلة ،،

حين يُعلن الربيع قدومه وتبدو مدينتنا كَعروسٍ

تزيّنت لتوّها ،،كَملكةٍ تربّعت على عرش جمال الطبيعة

....

رفاه العياش

الرسالة الأولى

بحكم جيرتنا لم أستغرب كثيراً كيف توصّل إلى رقم هاتفي

على الرغم من أن حديثه كان غائبا تماماعن ثرثراتنا القليلة أنا وأخته الوحيدة

وصلتني رسالته الأولى بكامل دهشتي ..

ادّعى أنها محضُ صدفةٍ أو ربما أخطأ بالأرقام

كّان الحديث اطمئناناً عن عائلتي وتعجباً من سرعة الأيام

كيف كبرت وأصبحتُ صبيةً ،، وعن غربته

التي سرقت منه عمره دون أن يشعر

لم يخبرني أنه ينوي العودة ولم أسأله لأنني لم أهتم لأمره

ظننتها رسالة لا ثاني لها

عُدتُ لدراستي وكأن شيئاً لم يكن

لكنه بين الحين والآخر كان يعاود مراسلتي

بحجة الاطمئنان عني وكانت إجاباتي مقتضبة

فما كنت يوماً ممن تسعد بأحاديث الشباب

ولكن لكثرة اهتمامه بي لم أعد أصدق محض الصدفة ولا خطأ الأرقام ..

أصبح يراسلني باستمرار بالرغم من عدم مبادرتي يوماً بالسؤال عنه

يسألني عن تفاصيل يومي ويسرد علي تفاصيل يومه

يحادثني عندما يستيقظ ويخبرني بموعد نومه

مرّت شهوراً وهو يحادثني بشكل شبه يومي

ويفتقدني إن تجاهلتُ الردّ على رسائله

كنا نتحدث بأمور كثيرة كالسياسة والغربة والوطن

كان دوماً يبدي إعجابه بقدرتي على نقاشه وإقناعه في كثير من الأحيان

ذات يوم قال لي أأُخبركِ سراً .. تتمتعين بشخصيةٍ جذابة إلى حدّ ساحر

كم هو محظوظ من يمتلك قلبك ..!!

أسعدتني كلماته جداً ،، لكن في ذات الوقت آلمتني

كيف يظن أنني كسائر الفتيات تحب أحدهم وتحادث غيره

ولو بحجة الصداقة ؟!

أدركتُ أنه يحتاج الكثير من الوقت ليعرف من أنا..

فأجبته قلبي أثمن ما أملك قد يحوم حوله الكثير لكن لن يدخله

إلا أميراً واحداً وعليه أن يتوضأ قبل أن يطأ أرض قلبي

قال بإعجابٍ واضح : من أين تأتين بإجاباتك المرصّعة بأجمل الكلمات ؟؟

ضحكتُ قائلةً الأبجدية ملعبي ...

كنتُ أعلم أن سؤاله مبطّن ليعرف إن كان قلبي مشغولاً بغيره أم لا

لأول مرة نتحادث بشكلٍ مطول عن الحب

الحب الذي افتقده في سنوات غربته فالفتيات الغربيات

إن صلحن للحب فمؤكد أنهن لايصلحن للزواج

قال وماذا عنكِ : أجبته لا عليك مني فأنا لم أحب الحب

ضحك مطوّلا ...أظن أن أمثالك انقرضن أيتها هالاستثنائية

لا أنا فتاة عادية لكن ربما سبقتً زمني بعض الشيء

وفي هكذا زمن ربما أبدو استثنائية

ردَّ على كلماتي أرى فيك أنثى الأحلام

غيّرت الحديث لتغير سيمفونية النبض

واستأذنته للنوم.. لكن لم أنم ليلتها

من دوامةِ التفكير به وبما قاله

ربما بحكم عمله كطبيب كان يقوم بتهيأتي لعملية الحب

أعدت قراءة كلماته عشرات المرات

مرات بالعقل ومرات بالقلب

لا أدري كيف أدمنتُ أحاديثه

وبتُّ أستمعُ لنبض قلبي مع سماع نغمة رسالته..

حاولتُ تجاهل صوت قلبي فلطالما أهملته وغيّبته عن حياتي

ما كنتُ أستمع إلا لصوت عقلي

وكل ما لا يصدر عنه مرفوض تماماً بالنسبة لي

كان اهتمامه بي يثيرُ دهشتي ربما لأنني لم أعتد على الاهتمام من أحدهم

بسبب الأسوار التي أحطت نفسي بها

فحالت دون الاقتراب مني ومن قلبي

لا أنكرُ أنه كان على مستوى من الذكاء والحكمة والعلم يثير إعجابي

وفي حديثه اتزاناً يستهويني ..

بدأت أنتظر رسائله بشغف ، واعتدتُ على مديحه لي

واعجابه بشخصيتي لعل ذلك كان يرضي غروري

ربما لكثرة ما اعترضت طريقه فتيات خلال سنوات غربته

كان من الطبيعي أن يجد فرقاً كبيراً بين فتاة غربيّة

أقل ما يمكن أن تقدمه له هو أن تحادثه لساعات

وقد تمضي يومها بصحبته دون أن تحاسب نفسها ولو للحظة

وبين ابنة الجيران التي من أعظم ما فعلته

هو أنـها بادلته الرسائل لعدة مرات

وتمضي باقي يومـها تجلدُ روحـها بتأنيب الضمير ..

....

رفاه العياش

ليلةُ القدر

أمضى سنواتٍ طويلة في المنفى لكن ذلك لم يجعله عن الدين في منأى

كان ذكر الله حاضراً في حديثه بكثرة

ومواعيد الصلاة كانت توقيتاً فاصلاً في محادثاتنا

لم أتعجب من ذلك كثيراً فهو ابن عائلةٍ متدينةٍ محافظة إلى حدٍّ كبير

الساعة الواحدة بعد منتصف الليل .. كانت ليلةُ القدر

أصوات الصلوات والدعاء تصدح في أرجاء المدينة

وصلتني رسالة حبه كعاصفةٍ هوجاء اقتلعت أسواري ، نسفت حواجزي ، غيّرت مبادئي

كيف وصلنا إلى عتبة الحب بهذه السرعة ؟!

لم أصدق عيناي حين قرأتها سارعتُ إلى نافذة غرفتي

نظرت إلى السماء وأخبرتُ ربي

فهو وحده يعلم كم صنتُ قلبي كي لا أشقى

لكن قداسةُ تلك الليلة كانت تبعث الأمان في قلبي

فالحبُّ الذي يولد في ليلة القدر لا بدّ أن يكون من أعظم هدايا القدر

وأن الله أنزله إلي مباركاً ..

لعل ذلك ما جعلني أهدأ وأعود إلى سجادة صلاتي

أقرأ بعضاً من كتاب ربي وأصلي

ناجيتُ ربي بأنني لا أملك من أمر قلبي شيئاً

فهو يأخذني إلى مدنٍ بعيدةٍ لم تكن يوماً في قائمة أحلامي

عاودت النظر إلى رسالة حبه لم أجد رداً يليق بها ..

ربما حيرتي وارتباكي جعلتني خارج أسوار الأبجدية

في تلك الأثناء وجدته يتبعها برسالة اعتذار

ظناً منه أنني تعمّدت التجاهل لرفضي طلبه أو أنني لا أبادله الحب !!

معذورٌ هو .. فلم يرَ بريقَ عينيّ حين ألمح اسمه

ولم يشعر بحرائق قلبي

حين تشتعل شاشة هاتفي باسمي مكتوباً بأنامله مختوماً بياء الملكيّة

أنا التي كنتُ على هامشِ الحب أصبحتُ اليوم أتربع على عرشه ..

لكن كيف أخفي فضيحة قلبي به

بعد أن تجاوزتُ مرحلة المراهقة وسنوات الجامعة

وبدأت أكمل دراساتي العليا ..

أيليقُ بيَ الحبُّ بعد أن مالت شمسُ العمرإلى النضوج؟!

وبعد أن منحتُ العلمَ والكتبَ أغلى سنواتي

هل بإمكاني أن أمنح قلبي بعضاً من الوقت ..؟!

تساؤلاتٍ كثيرة حرمتني النوم

لم أعد أفكر إلا به

وبذاك الحب الذي طرق باب قلبي متأخراً دون استئذان

لكن لم أتردد في سؤاله لِمَ أنا... ؟؟

كان لابدّ أن يجيبني على كل تساؤلاتي

لعلّ الأرض تقف عن الدوران بي

كانت إجابته أجمل وقعاً في قلبي من رسالة حبه ..

قال لي : أحببتُ فيكِ ما لم ترينه

أحببتكِ من الداخل ومن يضمن جمال الروح سيرى الوجه أكثر جمالاً

فلا يمكن لأنثى أن تتحلى بجمال القلب والروح

لهذا الحد الذي أسر قلبي إلا أن تكون فاتنةً بكل المقاييس

باختصار أحببت فيكِ الأنثى الكامنة الكاملة ..

وأيُّ اختصارٍ ذاك يا سيدي سحب الأرض من تحت قدميّ ..

طار بي كفراشةٍ من فرحتها تودُّ

أن تُقبّل زهور الأرض زهرةً زهرة ..

أن تمشّط تلبّد الغيوم لتُمطرَ فرحاَ

أن تطبعَ على جبينِ الشمس قُبلاً

وتُوصيها بالقمر خيراً لأنها لن تنتظره بعد اليوم

فيكفيها قمر حبّها الذي احتلَّ سماء قلبها

وأشعلَ في روحها شموعَ الفرح

لمستقبلٍ لن يخلو من الحب كما كانت تخشى في سرّها ..

رفاه العياش

صوتُ الأذان

الساعة الرابعة فجراً ...

وصلتني رسالته المحمّلة بالحب ككل ليلة

تحادثنا قليلاً ثم استأذن للصلاة

فاجأني التوقيت فالفرق لا يقل عن ساعتين بين مدينتي ومدينته

لم ينقصني الذكاء لأعرف أنه صار هنا

لكن كنتُ بحاجةٍ لأتأكد منه

فسألته أين أنت الآن ..؟

أجاب بإنكار أنه في بيته

ألحّيتُ في سؤالي ليقين قلبي أنه هنا

لم يستطع أن يستمر بالإنكار

وأخبرني أنها كانت مفاجأته الكبرى لي

كيف لقدميّ أن تحملاني بعد معرفتي بقدومه ..؟

كيف لروحي أن تبقى حبيسة جدران غرفتي ..؟

وكيف لدقات قلبي أن تهدأ ؟؟!!

.. وخاصةً بعد أن أخبرني أنه سيزورنا غداً

وعليّ أن أكون طبيعيةً وأتعامل مع قدومه أنه محضُ صدفةٍ

جمعتني بغريبٍ لم يسبق لي أن تكلمت معه ولا عرفتُ عنه شيئاً

كيف أبدو طبيعية وأستعدُّ للموعد المُنتظر

وأستقبل حب العمر في أول لقاءٍ لنا

وأنا بكامل البرود والبراكين تشتعل في قلبي ..؟!

كيف أُخفي فضيحة قلبي بكَ ..؟!

كيف أرتدي أناقة العمر

لأجل حضورك المُفتعل على أنه مصادفة

سارعتُ إلى خزانتي ..

حيّرتني أثوابي أكثر

تُرى أيهم أجمل ،، أيهم سيعجبه ؟؟

أيهم يليق بصدفةِ استقباله..؟؟

لم أعرف النومَ ليلتها ..

وأنا أفكر بحلاوة اللقاء

قصة الحب البعيد باتت قاب شارعين أو أدنى

تُرى كيف سيراني للمرة الأولى

هل سأكون بجمال الصورة المرسومة في مخيّلته

أين سأضع خجلي في حضوره

وأنا الأنثى المجبولة بحيائها ؟!

هل سأتمكّن من محادثته أم سيُطبقُ الصمتُ على لقائنا

ونكتفي بلغةِ العيون

تساؤلاتٍ وخفقاتُ قلبٍ

كاد أن يتوقف فرحاً منعت تسرّب النوم إلى جفوني

....

رفاه العياش

موعد العمر

بعض المواعيد تستحقّ أن نرتدي لأجلها أناقة السنين كلها

وتتعطّر بأجمل الذكريات

فتفكّ ربطة عنق الانتظار

وترتدي وشاحاً من حرير الشوق

لا لشيء فقط ... لأنها تليقُ بصبر القلب

لكن الوقت يتآمر على قلبك

فيمشي متثاقلاً كعجوزٍ تسعينيّ

متكئاً على عُكّازِ الدقائق

بينما أنت تشتهي أن ترقص عقارب الساعة على إيقاع نبضك

وبعدها تكسر العكّاز ،، تُوقف الزمن

وتُطبق جفنيّ قلبك على كل لحظة ستجمعك بمن تحب

الساعةُ الخامسةُ عصراً ..

ها هي أنامله تطرقُ بابَ البيتِ وبابَ القلب

وصوتُ أمي المشغولة بتحضير وجبة الغداء

الذي تأخر على غير العادة

لتأخر عودة والدي من العمل

يناديني لكي أفتح الباب ..

كيف سأفتح له وأنا لازلتُ في ثياب البيت لأحافظ على صدفة اللقاء

لكني تعمّدت ألّا يراني للمرة الأولى طبيعيةً إلى ذلك الحدّ

فشغلتُ نفسي وطلبتُ من والدتي أن تفتح هي الباب

وتسمّرتُ في مكاني ..

أسمعُ صوته هنا في بيت أبي يالفرحة قلبي وعيده

ألقى السلام على أمي لكنها لم تعرفه للوهلة الأولى

وحين وجد سلامها بارداً سارع بالتعريف عن نفسه

أنا عمر عدت البارحة من السفر

رحبت به ونادت والدي

الذي أنهى الصلاة لتوّه و احتفلَ بقدومه

وكأنه ابنه المغترب وعاد بعد طول غياب

وقفتُ أراقب من بعيد خطواته إلى داخل البيت والقلب

يخفق بشدّة لا توصف لم يسبق لي أن سمعتُ نبضاته بأذنيّ

شعرتُ أنه سيخرجُ من صدري ويطير ليسبقني إليه

عادت أمي إلى المطبخ وسألتني أتعلمين من كان في الباب .. ؟

أجبتها بلامبالاةٍ مصطنعة لا

مَن كان في الباب ؟

قالت : إنه ابن جارتنا أمُّ عمر قد عاد من السفر وجاء ليزورنا

هيّا أسرعي لنعدّ طبقاً آخراً يليقُ بالضيف

كان همُّها الأطباق .. وأنا أفكر بلحظة اللقاء

ساعدتها قليلاً وسارعتُ إلى غرفتي لأرتدي ملابسي

حاولتُ أن أغيبَ عن ناظريها كي لا تلحظ ارتعاش يديّ

وارتباكي الذي أنساني أي ثوبٍ قررت أن أرتدي ليلة أمس

فأخذتُ أول ثوبٍ تعثرتُ به ووضعتُ القليلَ من الكحل في عينيّ

لمعة الحب فيهما كانت أجمل من زينة الدنيا

وبهرجتها وورود الربيع أزهرت وتفتحت على وجنتيّ ..

أنهيتُ تجهيز نفسي لكن قدماي لم تعد تحملاني لكي أصلَ إليه

حاولتُ التأخّر ريثما ينتهوا من تناول الغداء

وتكون لحظة اللقاء بعيدةً عن أصوات الصحون ومديح الطعام اللذيذ

لم أرغب أن يشغله عني شيء

وما إن سمعتهم عادوا إلى غرفة الضيوف

حتى قرأت الأدعية وقصار السُّور

ليهدأ قلبي ولا تفضحني عيوني

دخلتُ إلى الغرفة وألقيتُ السلام

وحين وقعت عيناي بعينيه سقط القلبُ أرضاً

ولحقت به عيناي لشدة خجلي

أخبره والدي هذه ابنتي الكبرى وياسمينة قلبي ..

كان أكثر جرأةً مني وأخذ يسألني عن حالي

وقال لوالدي لو رأيتها صدفةً في الحي لما عرفتها

بعد أن كبرت وأصبحت صحفيةً جميلةً

جلستُ في مكاني فكلماته سمّرتني

ونظراته إليّ خلسةً كانت تشعل النيران في قلبي

أما صوته فكان سيمفونية تعزف على أوتار قلبي

أجمل الألحان

كيف أخفي كل هذا ..؟!

كيف لعينيّ أن تخفيا فرحتي ..؟!

كيف للقلب أن يُخمدَ حرائقه

ويُهدئ ثورة حضوره الباذخ

حديثه مع والدي ذاب في روحي كقطعة سكّر

وهما يتشاركان في الحديث كما تشاركا في القلب

فلطالما حلمتُ برجلٍ على قدرٍ من الحكمة والذكاء والرّقي

ليليق بمجاذبة أبي الحديث

أبي الذي لم أرَ رجلاً يملأ عيني أكثر منه

لكني وجدت فيه نسخةً من وقار أبي وحكمته

ذهبتُ لإحضار القهوة ، كانت المرة الأولى التي أعدّها بحبّ

وأخيراً سنشرب قهوة حبّنا معاً ..

كانت الأشهى على الإطلاق

طعمها لا يشبه طعم أي قهوة شربتها من قبل

ومع أول رشفةٍ له همسَ قائلاً لأعوام أشربُ القهوة

لكن لم تكن أبداً بهذا الطعم الفاخر من الواضح

أنها أُعدّت بأيدٍ محترفة وذوقٍ رفيع ..

ابتسمتُ وغرقتُ في فنجانه

وعندما همّ والدي لإعطائه كأس الماء في تلك اللحظة

تعثّرتُ بعينيه غارقةً بعينيّ وهمسَ لي أحبكِ ..

وقف القلبُ للحظات .. دارت الدنيا بي ..

ما أجملَ قدوم الحب حين يرقص القلبُ طرباً على نغماتِ كلماته!!

لم يُطِل المكوثَ في منزلنا أو لعلّ المدّة كانت طويلةً

لكني وجدتها مرت سريعةً كحلمٍ جميل تمنيتُ ألا أصحو منه

وبعد أن غادرَ مودّعاً أنه سيعيدها بصحبة أهله قريباً ..

سارعتُ إلى غرفتي انتزعتُ وشاحي

وفككتُ ربطة شعري وبدأتُ أرقص وأغني

كمراهقةٍ أحبت لأول مرة

وكأني لم أتذوق طعم الفرح من قبل ..

وأسائل مرآتي ترى هل كنت في عينيه جميلةً كما أرى نفسي الان ..؟

حتى قطع تساؤلي جوابه برسالةٍ منه

رأيتكِ أجمل من أحلامي يا أجمل إناث الأرض

كم يليقُ بكِ الخجل .. تمنيتُ أن أحادثكِ أكثر

أن أُمسك يدكِ وأخبرك انني أحببتك من قبل أن أراكِ

وبعد أن رأيتكِ أحببتكِ وعشقتكِ أكثر

يا من سحرتني برقتها وخجلها وأنوثتها ...

كم طربتُ لكلماته التي أشعلت شموعَ الفرح في قلبي

لم يكن ينقصني الغرور لأُدرك أنني فاتنة

لكن كان ينقصني أن أسمع رأي الرجل الذي أسر قلبي

لأتربع على عرشِ الغرور بثقة كاملة

والآن عليّ أن أعطيه رأيي بمن أحببته قبل أن أراه وأسمعه

يا سيد القلب .. قلبي حين منحك حبّه

كان على يقينٍ أنك الرجل الذي أسره ونصب بذكائه

شِباك عشقه وأوقعني بكامل إرادتي بها

باختصار..

أنت الرجل الذي يستحقُّ أن يقال له "نعم"

وأن أُهديه تمنُّعي عن الحبّ لسنوات

فمثلك لا يقال لثورة حبه إلا نعم

نعم للحب ..

نعم للعشق ..

نعم للعمر الجميل الذي بدأ بك

يا مَن كنت أول الواصلين إلى قلبي

وأول من هدم حصوني ودكّ أسواري

قداسةُ حضورك تليق بقداسة قلبي ..

في آخر حديثنا طلب مني أن نصلي صلاة الاستخارة

في الوقت نفسه كم فرحت بقربه من الله ومن قلبي

أجبته منذ رسالتك الأولى وأنا أصلي الاستخارة قبل نومي

ليقيني بأن الله قد وضعك في طريقي لحكمةٍ ما ..

ورجوته أن تكون أنت سعادتي وستري دنيا وآخرة

فقال ولمَ لم تعلميني بذلك ضحكت وقلت له :

وما شأنك بيني وبين ربي

المهم الآن سنصليها معاً في نفس الوقت ..

لم أستطع أن أخبره أنني في كل مرة صليتها

كنت أغصُّ حين أصل إلى قول (وإن كان شراً فاصرفه عني)

ليته علم أن قلبي رضي به قدراً ..

وأنا أؤمن بالقدر خيره وشرّه

وحتى شره سيراه قلبي المتيم خيراً

وبعد الصلاة هاتفني .. مبتدئاً بالدعاء تقبل الله يا أنثى أحلامي ..

رزقنا الله أن نصلي معاً وعلى طرحة فستانك الأبيض... .

أيّ قلبٍ بحجم قبضةِ اليد لأنثى

على الدرجات الأولى من سُلّم الحب سيحتمل فرحاً كهذا !!!

لطالما أعجبتني قصص الحب في الكتب التي قرأتها حين تنتهي باللون الأبيض

لكن ظننتها لا تتحقق إلا بين سطور الروايات

أيّ حديثٍ هذا يسحبُ فِراش الارضي من تحتي

ويُحلّق بي في السماء فرحاً .. حباً...عشقاً

لشدة ارتباكي لم أجبه بأكثر من كلمة آمين ..

أنـهى حديثه مودّعاً للنوم ..

فودعته وودعت النوم معه لأسترجع شريط يومي المزيّن به ..

وكيف السبيل لنوم الجفون والقلب مستيقظ

يضخّ مع الدم عطراً ،،زهوراً ،، فرحاً ليسري في العروق

....

رفاه العياش

أن نكون على قيد الحب يعني أننا على قيد الحياة حقاً

ما أجمل أن يتفق القلب والعقل على الحبيب

والأجمل هو قرب الحبيب ..

فمن يوم قدومه وأنا لا أنام أكثر من ساعتين

وكأنني نمت ليلتين متواصلتين أشعر وكأنه خلف نافذتي

يسهر أثناء نومي يحرس أحلامي

وينتظر إشراقة الشمس من عينيّ

عجيبٌ لأمر الحب كيف يلون الدنيا بألوان قوس قزح ..؟!

كيف يجعل الفصول الأربعة ربيعاً دائماً ..؟!

مُذ أتيت وكل شيء تغير .. الحي بات أجمل

البيت أجمل .. العمر أجمل ..السهر أجمل .. القمر أجمل ..

والشمس أجمل

كل شيء بات أشهى ..

ألهذا الحد يبدل الحب نظرتنا للأشياء ..!!!

مرت الأيام وأنا أكتفي أن ألمحه من بعيد ليكون عيدي

كنا أنضج من أن نفتعل لقاءات أمام أعين الجيران

لا أدري أهو نضجٌ أم حذر ؟

فحين يأتي الحب بعد النضج يكون خالياً من الطيش ..

كم تحضّرت لزيارتهم مع والديّ وأخبرته بموعد قدومنا إليهم

وتناقشنا ان كان سيجلس معنا أم سيكتفي بالسلام

والانصراف كي لا يلحظ أهله ما لم يلحظه أهلي

إلا أن نقاشنا كان بلا جدوى فقد رفض والداي اصطحابي معهم

وأخبرتني أمي أنه لا يجب أن أزورهم حتى يسافر ابنهم ..

هي العادات والتقاليد التي تحكمنا وخوفنا من كلام الناس يحيط بنا

لكن النضج لم يمنعه من مفاجأتي مرة أخرى ..

أرسل إلي ليلاً ..

كنتُ أتمشى في الحي تمنيتُ لو رأيتك

وجدت والدك يجلس على الشرفة فدخلت وسهرت معه قليلاً

ألم تشعرين بوجودي ،، بصوتي المرتفع لإيقاظك

تمنيتُ رؤيتك ولو من بعيد ..

لكن أأخبرك سراً وجدتُ ركوة قهوتك وفنجانك على الطاولة

فغافلت والدك وشربتُ منه

بأيّ حبٍّ تُحضّرين القهوة .. طعمها يتغلغل في عروقي

أظنُّك حين ستحضرين لي الطعام

سأمنحكِ شهادة أمهر وأجمل الطباخات يا أنثى أحلامي

حين تستيقظين تسللي إلى تحت نافذتك وخذي الهدية التي رميتها لكِ خلسةً

قطفت لكِ وردةً جميلةً كانتِ يا عاشقة الوردِ

أيُّ شمسٍ هذه التي أشرقت على عينيّ ..

أيُّ صباحٍ مفعمٍ بالحب بعد هذا الكلام ..!!

وماذا عن سعادتي التي لم يعد يحتملها قلبي .؟!

كم لُمتُ نفسي كيف سرقني النوم منه

كيف جاء إلينا ولم أسمع صوته

كيف فاتني حديثه مع والدي

وأنا التي أعشق الموسيقا لكن لم أطرب يوماً كما طربت فرحاً بحديثهما

سارعتُ إلى شرفتي بخطواتٍ خائفة

أأصبحتُ كالمراهقات العاشقات اللاتي يُهدى إليهن من العشاق

كيف بعد عمرٍ من النضج أعيشُ تلك التفاصيل

التي كنت ألوم صديقاتي كيف يقبلن بها ؟؟

لكن ذلك لم يمنعني أن أطير فرحاً وأتسلل إلى تحت نافذتي

وأسير بقلبي لا بقدميّ

يالفرحتي حين رأيتُ تلك الوردة أمسكتها برفقٍ كطفلةٍ وُلدت لتوّها

استنشقتُ عطرها حتى كادت أنفاسي تنقطع

منذ عرفته وأنا ما عُدتُ أنا ..

فلم أعد أنتظر الصباح لأرى الشمس ..

بات صباحي وشمسي المشرقة

ولم أعد أنتظر الليل لأنظر إلى القمر ..

بات قمري وأحلامي المحقّقة

في كل حرفٍ يكتبه لي أرى قصيدة

في كل كلمةٍ يكتبها عني أرى معلّقة

وفي وردة حبّه الأولى أرى جنةً ورودٍ عابقة

ففي قلبه يليقُ بي لقبَ عاشقة ..

أرسلتُ له كلماتي هذه وطمأنته أنني وجدتُ الوردة مكانها

أخذتها وأخفيتها عن عيون الجميع فهي أغلى هدايا العمر

كم حاسبتُ نفسي أنا أنثى الأرق قبل مجيء الحب

وبعد مجيئه أدمنتُ السهر ونسيتُ النوم

كيف استسلمتُ له في ليلة أوج شوقه لي

ومجيئه إلينا ووردة حبه

ومخاطرته في رميها لي ؟؟!!!

كل هذا وأنا غارقة في نومي

قال لي دعكِ من اللوم

وافرحي أنني أحضرت لك الوردة

وشربتُ من فنجانك الشهي

استكملنا حديثنا والقمر يسهر لنا

ويطرب على إيقاع نبضاتنا المتسارعة

راح يخبرني كم يحبني أكثر من أي شيء في الوجود

وأنني قلبتُ موازينه وغيّرت نظرته للأيام

صارحني أنه عاش الحب مرةً واحدة

قبل أكثر من ست سنوات وبعدها أوصد باب القلب

إلى أن صادفه حبي وخلعَ الباب كعاصفةٍ هوجاء لم تبق ولم تذر

قال لي : يا أنثى أحلامي أريدكِ حاضراً ومستقبلاً

أريدكِ أمّاً لأطفالي .. يااااه كم ستكونين أماً حنونة وجميلة

كم طفل تريدين أن ننجب ..؟

صمتُّ وانهمرت دمعتين من عينيّ لشدة فرحي

لأول مرة أُسأل هذا السؤال وأنا في نشوة الحب

سؤاله كان شلال فرح أغرق روحي..

لم تجيبي على سؤالي ..؟ قلت لا أدري

قال فإذاً طفلاً واحداً وليته يكون أنثى تشبهك

وتأخذ منك جمال العيون التي أسرتني

كم ستكون فاتنة كأمها..!! وسنسميها "ناي"

ياااااه وما أجمله من اسمٍ

فقلت مقاطعةً لكن لا أحب الطفل الوحيد ..

قال إذاً طفلين ذكراً وأنثى

اتفقنا إذاً والصبي يجب أن يشبهني

قلت بقلب ملؤه الحب نعم گوسامتك

وطيبة قلبك وحلاوة روحك

كم فرحتُ يومها وكأني لمستُ أطفالنا وشممتُ عطرهم

كانت سعادتي لا يضاهيها شيء في الكون

ما أبسطها الأنثى كي تسعدها كلمة وتضيء دنياها ..

فكل أنثى تحلم ببيت صغير جدرانه دافئة

بفعل حرارة الحب وأطفال يكونون ثمرة ذاك الحب

....

رفاه العياش

استئصال أيـام من شهر الحب

مرت الأيام مسرعة بوجوده إلى أن فاجأني والدي

بأنه قد أخذ إجازة من عمله وسنذهب إلى البحر لقضاء العطلة

سألت أمي كم من المتوقع أن نمكث هناك قالت ربما لأسبوعين

كدت أختنق .. كيف سأغادر الحي ؟؟

كيف سأترك قلبي وحبي ؟؟

اختناقي لم يغفر لي حين أخبرته بسفرنا

غضب من طول المدة وطلب أن أفعل شيئاً

فليس من حقي أن أغيب كل هذه الفترة ..

كنت الفتاة المطيعة لوالديها ،، كنت أضعف من أن أعترض

على قرار اتخذوه اختناقي لم يكن أقل من اختناقه ..

قال لي : وأنا ماذا سيكون حالي في غيابك

لا أستطيع أن أحمل عبء انتظارك

كل هذه الأيام

كلماته أثقلت علي نزهتي التي كنت أنتظرها بفارغ الصبر

قبل أن يصبح هو جلّ انتظاري

بقينا على اتصال في تلك المدة كان الشوق يكبّلُ روحي

كان يحادثني كثيراً أقدم له تقريراً مفصلاً عما أفعله

وهويخبرني بكل تفصيلٍ يقوم به

كيف يمشي أمام بيتنا كطفلٍ ينتظر عودة أمه

كانت تلك الأيام دليلاً قاطعاً على مدى حبه لي

وتأكدت أن حضوره يلغي غياب الجميع وغيابه يلغي حضورهم

وكعادته عاد لمفاجأتي من جديد .. اتصل بي قائلاً : أتعلمين أين أنا

ضحكت وقلت هل لحق بي مجنوني إلى هنا

قال لا جئت لأتنفس الهواء الذي تتنفسينه

وأرى من أجمل وجهكِ أم البحر

أجبته والقلب يرقص فرحاً : لكنك لن تراني

قال لابأس المهم أن نكون في نفس المدينة ونستنشق ذات الهواء

فالحي بات يخنقني في غيابك

كم أسعدني بجنونه ..

تمنيت أن ألمحه ولو من بعيد لكنه كان بصحبة عائلته ولامجال للقاء

كي لا نثير شكوك أهلنا فعلاقتنا كانت رسمية بعض الشيء

كنت أشعر بضيق صدره واختناقه من خلال حديثه معي

توالت الأيام وهو بنفس الضيق

كان دائم الحديث عن صعوبة المكوث بدون عمل

والالتزام بعائلته فمنذ سنوات وهو وحيد لايقيّده أحد

ضيقه وصل إلى مراحل متقدمة ..

فلم يعد يحادثني كثيراً كما كان

بتُّ خارج تفاصيل يومه

كان ذلك يزيد من غصة قلبي في بُعده

بُعده الذي كان يشعرني بالبرد في منتصف الحر

أحاديثه المختصرة يوماً بعد يوم كانت تختصر أنفاسي

ولا أجد سبيلاً سوى الجلوس مع البحر و النوم للهروب علّه يمر الوقت سريعاً

ونعود ربما أفهم ما به ..!!

في كل مرة كنت أسأله عن سبب الأحاديث المختصرة

ويجيبني أنه يختنقُ شوقاً إلي ومرة أخرى يقول بسبب مرضه من تغير الطقس

لا أستطيع أن أنسى كم خفت عليه في أثناء مرضه

شعرت بشعور الأم حين يمرض طفلها

ويجافيها النوم ويرتجف قلبها خوفاً عليه

حاولت أن أُطمئن قلبي أن هذا هو السبب ..

لكن شيئاً ما بداخلي كان يخبرني أنه يخفي علي أمر ما

فلطالما كنت أناديه "يا رجل الغموض"

لأنني أشعر أنه مهما أخبرني عن نفسه ستبقى هناك فصولًا لا أعرفها

كل تلك كانت أسباب كافية تجعلني أطلب من أبي أن نعود إلى البيت

فلم أعد أحتمل الانتظار ووخز القلب

وفعلاً عدنا بعد انتهاء الأسبوع الأول

عدتُ على أمل أن ألقاه ..

أن أغسلَ بنور وجهه مخاوفي ..

ليضيء ببريق عينيه ظلمة قلبي ..

....

رفاه العياش

كلمات أحدّ من السيف

مرَّ يومان على عودتنا ولم يتغير شيء ..

لم يزده القربُ حباً بل ازداد بُعداً وتجاهلاً

ألحّيت على سؤاله عن السبب ودوماً كانت إجابته مقتضبة

رجل الغموض لا يليق به إلا الغموض

ليته خلع غموضه الذي أثقل على أنفاسي لأعرف ما به وما بي

كان يكتفي بأن يخبرني أن الوطن لم يعد صالحاً للعيش تحت سمائه

ياله من تفكير غريب ..!!

كيف يمقتُ البشر أوطانهم ؟؟

كيف لا يشعرون بالدفء والأمان تحت سمائه

فالوطن مهما جار نبقى نعشقه

كانت أكثر نقطة اختلفنا عليها ..

فأنا الأنثى المخلوقة من تراب ومطر

المتعشقة لورده وياسمينه المرتبطة عروق قلبها بجذور كل شجرة في أرضه

كيف أتقبّل فكرته المشوّهة عن الوطن ..؟!

لكن حبّي له لم يكن ليقلّ عن حبي لوطني

فسألني ذات مساءٍ مُشبعٍ بالحب

ماذا لو سرقتكِ منهم إلى أبعد نقطة على هذه الأرض؟

أجبته : حلّلتُ لك سرقة القلب يا وطني

قلتها بكامل حُرقتي وغصّتي .. لكن حبّه كان أكبر من أي حب

كنت أثق أنه سعادتي ووطني

فالوطن لمن تعشق يصبح على هيئة قلب رجل ..

في مساء اليوم الثالث بعد عودتنا شعرتُ بتعبٍ وثقل على قلبي

تعبتُ من انتظار مزاجه السيء الذي كان يجلدني به منذ أيام

هربتُ إلى النوم لعلّي أستفيقُ على صفائه

نمتُ لساعات لم توقظني اتصالاته ولا حتى ردّه على رسائلي

صحوتُ لأرى كم من الوقت مضى على نومي فإذا برسالةٍ طويلةٍ جداً منه ..

لم أعتد على سطوره الطويلة كنت أنظر بعينين نصف مفتوحتين

أغلقتُ هاتفي مسرعةً وكأني أحاول أن أصحو وأستجمعَ قواي حتى أقرأ كلماته

فتحتُ الرسالة وإذا بها تبدأ بإسمي دون ياء الملكية ..

شعرتُ بصفعةٍ على وجهي مسَحَت آثار النوم عنه

" ياسمين ....

لظروفٍ كثيرة لم أقوَ على مواجهتها وإخباركِ بها

ولأنكِ كما تعلمين لم أستطع التكيّف مع البلد كان مستحيلاً وخانقاً أن

أبقى أكثر

لا تظنّي أن قراري هذا كان سهلا

فطوال الأيام الماضية وأنا أفكر وتردّت بإخبارك

كان القرار صعباً ولكن لم يكن لدي حلّا آخر ..

اعذريني .. ولا تلوميني

فقد عانيت ما عانيت لاتخاذ هذا القرار

انتبهي لنفسك ومن يدري ربما تجمعنا الأيام مرة أخرى

أكتب لك وأنا في المطار سأعود إلى حيث أتيت ... "

لم أعد أشعر بشيء وكأن روحي انتُزعت مني

أصبحتُ للوهلة الأولى جثةً هامدة برغم أنني في كل كلمة قرأتها كنت أتلقى

صفعةً على وجهي

والدموع تنهمر دون توقف

مسحتُ دموعي .. وظننت أني أرى كابوساً مزعجاً

أو ربما هو يعبث بأعصابي ليرى ماذا ستكون ردة فعلي على خطوةٍ كتلك

لا أدري لمَ كنت أبحث له عن احتمالات بعيدةٍ عن الواقع ووخز القلب

ربما لأنني شعرت أن قلبي لايحتمل حدثاً جللاً كهذا

عاودتُ قراءة الرسالة مرات ومرات والدمع يُغرق وجهي

لم أعد أرى حروفاً من شدة البكاء وكأن عاصفةً أو زلزالاً أصابني

كاد قلبي يتوقف من فرط بكائي

أسرعتُ إلى الحمام غسلتُ وجهي ..

نظرت إلى المرآة وأنا أقول لنفسي لا لا لن يقدم على قرارٍ كهذا

لن يفعل هذا بي ..

ليس هو من يقترف جريمةً كتلك ،، لستُ أنا من تُقتل هكذا

عدت بسرعة إلى سريري قبل أن يراني أحد

كانت روحي تُنازع كأنها تُسحب من جسدي

سقطتُ كجثةٍ على فراشي

والدمع لم يتوقف للحظة عاودت قراءة الرسالة وأنا أجهشُ بالبكاء

لأول مرة كنتُ أرى كيف تطلق الحروف رصاصات

كيف يُجلد القارئ العاشق بسياط الكلمات

تمنيتُ لو أستطيع الصراخ لكي أُخبر الكون بمأتمي

فتلك لم تكن رسالة فحسب

كانت نعوةُ قلبي ،، حبي ،،أحلامي

كيف طاوعك قلبك أن تفعل هذا بي

أنت الذي أقسمتَ يوماً إن لم أكن لك ستقتلني ثم تقتل نفسك

لأنك لا تحتمل الحياة بعد اليوم من دوني ؟؟

كيف قتلتني بدمٍ باردٍ ورحلت .. وليتك قتلتني حتى الممات

لكنك قطعتَ شراييني وتركتني أنزفُ كطيرٍ ذُبح لتوه

اعتدتُ مفاجآتك لكنها في هذه المرة كانت مميتة

توقف القلب من شدة الصدمة

مرت ساعة وأنا أنهمر بكاءً ولم أرسل له رداً

لا أعرف ماذا سأكتب ..؟

هل بعد هذه الكلمات رد ..؟

هل أوبّخه وأقسو عليه بلومي ..؟

هل أستجمعُ بقايا كبريائي وأودّعه غير مكترثة ،، غير مذبوحة

لا أدري ماذا أفعل ...و أعود للبكاء مجدداً

لم أبكي يوماً بتلك الحُرقة ..

كنتُ أشعر بالدمع كأنه قطرات من ماء النار تنسكبُ على وجهي

والقلب .. لا أحد غير ربّ القلب يعلم ببراكينه

بالشظايا والحِمم التي تسيلُ منه لتتوزع باقي جسدي

وإذا برسالة أخرى منه .. ما بكِ لا تجيبي

هنا حاولتُ أن أتمالك نفسي وأبحث عن كلماتٍ تليقُ بكبريائي ..

سألته :

كيف أخفيتَ عني قرارك ؟؟؟؟؟؟؟

وأنت تعلم أننا تناقشنا في السفر ووافقتك على أي وجهةٍ تختارها

ووعدتني أن تحاول أن تتأقلم مع مدينتنا

وتحبها لأجلي وإن أتعبك البقاء نسافر معاً

لكن فكرة عودتك وحدك لم تكن مطروحة أبداً..

كنتُ أعلم أنك لن تحتمل المكوث هنا دائماُ

وكنت أحضر نفسي على الاغتراب يوماً معك

لكن لم أتوقع أن تذهب وتتركني هنا وحدي

أُصارع خبر سفرك بدون مقدمات ..

لأول مرة أشعر بغبائي كان عليّ أن أفهم ذلك

من تغيّرك ،، من شوقك الذي بات في نقصان ،، من بُعدك ،، من جفائك

من أشياء كثيرة ،، أعميتُ عيني عنها وتجاهلتُ وخز قلبي

لأنني كنت أصدقك أكثر من أي حقيقة واضحة أراها

حقاً الأنثى حين تعشق تزيد نسبة غبائها لأنه حين يعمل القلب يتعطّل العقل

لكن أن توئد قلبي وتقول لي أعذريني وتطلب ألّا ألومك ..؟؟؟!!!!

أستحلفك بالله في أي شرعٍ يطلبُ القاتلُ أن يُعذر ..؟؟

كيف غرستَ خنجر رحيلك في قلبي وتأمرني ألّا أنزف

يالقساااااوتك .. من أين أتيتَ بكل هذه القسوة حتى تقتلني و أنا حيّة ؟؟؟!!!!

قاطعني برسالةٍ أخرى .. أرجوكِ لا تُمزقي روحي بكلماتك

ماذا تفعلين .. هل تناولتِ العشاء؟؟

استفزّني بسؤاله ، بخروجه عن الموضوع الذي أخرج روحي من جسدي

فأجبته تناولتُ طعنةً في روحي ، ونوبةً قلبيّةً أوقفت نبضي ، ووابلاً من الدموع

قال : جميلةٌ أنتِ بعد البكاء .. كدمشق بعد المطر

فابتسمتُ والدموع تملأ وجهي

قال : لكن أعرف أنك الآن تبتسمين و ابتسامتكِ أجمل ،، بها أغرق في حفرتين لا واحدة

فأجبته : كنتَ تغرق وتؤجر

لكن بعد اليوم لا أجر لك .. فما عاد لابتسامتي مبرر

انتهينا ... أكمل رحلته وأنا عُدتُ إلى فراشي الذي لازمته لعدّة أيام

فكّرتُ بحجّة تُقنع عائلتي بمرضي الذي قلب كياني وانتزع عافيتي فجأةً

لم يخطر ببالي سوى ألم الأضراس فهم يعلمون فوبيا أطباء الأسنان

التي أعاني منها منذ طفولتي

كنتُ أحتاج لمبرر يقنعهم يُقنعهم ويمنعهم من الإلحاح عليّ لزيارة الطبيب

بقيتُ على ذاك الحال أسبوعاً ..كالوردة التي تذبل وتموت أمام أعين والديها

لم أخبر أحداً بفجيعة قلبي ...

لم أخبرهم حين كنت على قيد الفرح أأُخبرهم اليوم وأنا أصارع موتي

بعد يُتْم القلب ...!!!

كم تمنيتُ أن أخبرَ أمي كان يقف الكلامُ على فمي وأصمت

كانت ستفرح كثيراً لأنها لطالما تمنّت أن أفتح قلبي

وأختار شريك حياتي بنفسي

كانت تخشى علي من الزواج التقليدي ..

لكن حافظتُ على سري وداريته بالكتمان حتى عنها

ربما لخوفي على فرحتي أن يُفسدها كلامي..

كابدتُ جرحي وحدي وحاولتُ أن أقف من جديد

لأجل والديّ اللذَين انفطر قلبهما على ذبولي ومرضي المزعوم

....

رفاه العياش

الحرمان من حقّ العودة لم يكن أقسى من الحرمان من حق الوداع

قرأتُ وكتبتُ الكثير عن الشعوب التي تهجّرت من بلادها

كُتب عليهم الرحيل قسراً،، أُجبروا على التخلي عن كل شيء

لكنهم ودّعوا أحبّتهم ، وحلموا بحقّ العودة ..

أنا معك فقط حلمتُ بحقّ الوداع الذي سلبتني إياه

لا أدري ما وجه الشبه بيننا ؟؟

ربما أن كلينا فقدَ وطنه ،، هم احتفظوا بمفاتيح بيوتٍ تهدّمت

وأنا احتفظتُ برسائل لأحلامٍ وئدت ..!!!

بحقِّ مَن زرعَ حُبّكَ في فؤادي أجبني

مَن منحكَ الحق أن تحزمَ أمتعة قلبي

وتُشرّده في بلادٍ لا تعرفُ دفءَ الحب ؟!

كان من حقّي أن تمنحني وداعاً

يليقُ بي ،، بحبّي،، بقلبي ،، بنزفي

أجزمُ لو أنك منحتني ذاكَ الحقّ ونظرت بعينيّ لحظةً

لسقطت من يدكَ حقيبتك وأسقطت معها فكرة رحيلك

تماماً كما حدث لي يوم جئتني حين تعثّرتُ بعينيكَ

فسقط قلبي مغشيّاً عليه شهيدَ حُب

ليتكَ منحتني أبسط حقوقي معك ..

ربما كنتُ بحاجةٍ لأن أرى الحزن في عينيك

وأنت تتركني على عتبةِ باب قلبك مذبوحةً بأحلامي

وقتها فقط أقتنعُ أنكَ لم تقتلني بقلبٍ باردٍ

بعينين مفتوحتين لم ترفّا لموت قلبي

كم كنتُ بحاجةٍ لذاك الحق ..

كإمرأةٍ أخبروها بطلاقها ولم تصدق

حتى تسمع منه حروف حرّيتها

كان عليكَ أن تدفع دَين قلبك لي

قلبك الذي أقرضته عمري ، حبي و ثقتي

كنتُ بحاجةٍ ....لأن أسمعَ نُطق الحكم على قلبي بالموتِ رحيلاً

أن أرى شهادة وفاة أحلامي المنسوبة إليك

أن أرفعَ يدي مُلوّحةً مودّعةً لآخر مرة قبل أن تبترها

لجرمِ أنها كتبت لكَ يوماً "أحبك "

وبعدها أُلملم أشلائـي .. بقاياي

وأُغلق خلفك باب القلبِ كمدينةٍ مدمّرة يُمنع دخولـها

....

رفاه العياش

هل أسقطُ وأموتُ حُبّاً .. أم أقفُ كبرياءً

توالت الأيام والجرحُ في اتّساع ..

باتَ الكونُ شاحباً والبيتُ بارداً

والهاتف مهملاً لا روح فيه

لتشتعلَ أضواؤه باسمك كما كان في السابق

كان عليّ أن أختار إمّا أن أموتَ بحادثة حُب

أو أن أتقبّلَ طعنتك وأتعالج كي أشفى منك

فاخترتُ أن ألملمَ شظاياكَ من قلبي

أن أقنعَ نفسي بأنكَ لم تستحق حُبي

فحبي كان نعمةً من الله أنزلها عليك

في ساعة استجابة من ليلة القدر

ولكن النِّعمَ تدوم بالحمد ..

وأظنّكَ كنت جاحداً بي ولم تُحافظ على نعمتك !!

شارفت الإجازة على الانتهاء..

وعليّ أن أنهضَ من جديد لأعودَ لدراستي

وكتابة مقالاتي كما كنتُ أفعل

قبلَ المرضِ بكَ

كنتُ أكتبُ في جريدةٍ أسبوعيةٍ مقالاتٍ عن السياسة والوطن

كيف سأكتبُ اليومَ عن الوطن بعد أن اختلف لديّ مفهومه ؟!

بعدَ أن اختصرته في عينيك

بعد أن حرمني الوطن أن أُقيمَ أفراحي على أرضه

بعدَ أن ضاقَ عليه أن يجمعنا تحت سقفه

ويتبنّى حُبّنا ولا يدعهُ يتشرّد في غربهم المقيت ؟؟!!

لاحظ أني بتُّ ألومُ الوطن لا أنت...

كم كنتَ أعمى قلب لم تعرف حجم حُبّي لك

فبرغم تقرُّح جروحكَ في قلبي

لم أقسو عليكَ بعتابي،، لم أجلدكَ بسوط كلماتي !!

حاولتُ العودة للحياة ، للمجتمع الذي ألغيتَ حضوره مذ وطأتَ قلبي

عُدتُ ولكن لم أعُد بكاملي .. عُدتُ بقايا أنثى

كان أهونُ عليّ أن أنهض وأسيرَ برغم جراحي في زحامهم

من أن أرى نظرة شفقةٍ من أحدهم فلا قدرة لي على احتمال ذلك أبداً....

في إحدى المساءات ضاقت الدنيا بي كثيراً

وزاحمتني على أنفاسيَ المتهالكة

أخبرتُ عائلتي أني سأخرج أتمشى في الحيّ

خرجتُ على غير عادتي دون أن أهتمّ بما سأرتديه

ولم أنظر إلى وجهي الشاحب حتى

سرتُ على الطريق الذي كان شاهداً على لقائنا ذات حُب

كنتُ أنظرُ إلى الشارع بحرقة أبحث عن آثار خطواتكَ عليه

تذكّرتُ نظراتكَ البعيدة وهي تغزلُ حُبّاً ..

تذكّرتُ نبضات قلبي المتسارعة يومها ..

يدكَ التي لوّحتَ بها إليّ وسقط القلبُ حُبّاً وخوفاً أن يراكَ أحد

كان الحيُّ يومها على غير عادته خالياً

وكأنه احتفاءً بموعدِ أبنائه العشّاق اعتذرَ عن استقبال المارّة..

مرورُ ذاكَ الشريط أمام عينيّ أعادني لفصلِ المطر وهطول الدمع

لم أعُد أتمالك نفسي ..

ماذا أفعل لن أستطيع العودة إلى المنزل ؟؟

فقادتني قدماي إلى صديقتي في الحي " سارة" التي أهملتها منذُ اقترفتُ الحب

كانت الأقرب إليّ من بين صديقاتي لكن قربها لم يجعلني أمنحها سرّ قلبي

تُراني أصبحتُ مثلكَ أنثى الغموض ..؟؟؟

لا أذكرُ أني أخفيتُ عنها شيئاً كانت أقرب إلي من أمي وإخوتي الصغار

فتحت لي البابَ بدهشةٍ وهَلَع ..ما بكِ ؟؟

ما الأمر ؟؟

قلتُ : لا شيء فقط تعثرتُ في طريقي إليكِ

انفجرتُ بالبكاء وكأني لم أحترفهُ منذ قرابةِ الشهر

تركتني أبكي حتى جفَّ دمعي فلم تصدّق كذبة تعثري

كنتُ بحاجةٍ أن يشاركني أحد حملَ أوجاعي

فسردتُ عليها قصتنا من الحرف الأول وحتى الطعنة الأخيرة

بدأتُ أتكلّم وهي تنهمر بالبكاء

لا أدري ألهذا الحدّ أصبحتُ في حالٍة يُرثى لها ؟؟!!

لا أُنكر أنني شعرتُ بارتياحٍ غريبٍ بعد أن تكلّمتُ ..

لطالما كنتُ أُنثى الصمت والأرق

ولكن أحياناً لنُشفى من داء الصمت علينا أن نتناول جرعةً من البوح

بقدر ما شعرتُ بالارتياح بعد حديثي مع صديقتي

بقدر ما شعرتُ بالخجل والخزي بعد أن

عرَّيتُ أمامها قلبي ، أوجاعي ، جراحي ، هزيمتي ، إنكساري ..

أنا التي كفرتُ بالحبِّ عُمراً ...

آتي اليوم لأنزفَ على الملأ وأبكي مكلومةً مذبوحةً بالحب !!

كانت دموعها تحرقني أكثر من دموعي ..

مسحَت دموعها وقالت لتهوّن علي :

لا عليكِ إنه لا يستحقّكِ ولم يقدِّر حبكِ

فلا يستحقّ ما تفعلينه بنفسكِ لأجله

أجبتها :لا أعلم إن كان حزني على نفسي وقلبي أم حزني على رحيله

لكن ما أعلمه تماماً

أنني لا أستحقُّ هذا الألم كله

فقالت لا تدري .. قد يعودُ يوماً ؟؟

قلتُ لا أظن ذلك ..

مَن رحلَ بهذه القسوة ونسفَ كلّ ما كان لن يفكّرَ يوماً بالعودة

قالت لن أخفي عليكِ ما سمعته من حديث والدتي وجارات الحي ..

أنّ عائلته أرغمته على البقاء والزواج من ابنة خاله لكنه رفض

ربما كان هذا سبب سفره..؟

غرقتُ في صمتي وهمستُ لقلبي لِمَ لَم تُخبرني بهذا ؟!

ألستُ طرفاً في قضية حبّنا .. ألستُ معنيّةً بسبب رحيلك ؟!

لم تتوانى يوماً عن قتلي بغموضك!!!

انتعلتُ أوجاعي وعُدتُ أدراجي إلى المنزل ..

أدمنتُ النومَ لساعاتٍ طِوال لأهربَ من واقعٍ لم يعُد فيه

وأهرب من أسئلة عائلتي عن حالي .. أحتضنُ خيبتي وأنااااام

فما عُدتُ أنتظرُ مروره في حيّنا .. ولا حتى رسائله

التي باتت تأتيني بين الحين والآخر باردةً

تزيدُ صقيعَ قلبي وتجمُّد روحي

باتَ يكتفي بالسؤال عن حالي بكلماتٍ لم تشبه الكلمات

التي اعتدت عليها منه والاستئذان لحجّةٍ ما

كل ما أخبرني به أنه انتقل للعمل في مشفى آخر ويعمل لوقت طويل

لايجد وقتاً للراحة أو للنوم بشكلٍ كافٍ

لا أدري ماذا حلَّ بي فقدتُ شهيّة الحديث معه

فلم أعتد على كوني صديقةً مقرّبة له ،، أو مجرّد ذكرى وانتهت

كنتُ كثيرةَ الكلامِ كما كان ينعتني ..

وأنا أضحكُ قائلةً معكَ معكَ... فقط أحبُّ الكلامَ وأُكثرَ منه

فالكلُّ يشهد لي بصمتي

كان يضحك قائلاً وأنا أشهدُ أني أحبّكِ وأحبُ كلامك ..

لم أُخبره عن المدينة التي أطفأت أنوارها في عينيّ بعد رحيله ..

عن برد النوافذ والجدران ..

عن رائحة الفقد التي تملأً كلّ مكان ...

....

رفاه العياش

التمسي لي عُذراً

يا سيّد لهفتي ... وقاتلها

يا سيّد فرحتي ... وسارقها

يا سيّدَ أحلامي ... وموئدها

يا مُبهجَ النفس ... ومحزنها

يا شقيقَ الروح ... وجارحها

أين أنتَ منّي الآن من ألمي من جرحي من نزفي

من اختناقي من ضياعي من تشرّدي بعدك

أؤمن بصدق المقولة " التمس لأخيك سبعين عذراً "

لكنها لا تصلحُ لمرضي بكَ !!

فالحبيبُ لا عُذرَ له إن خان أو غابَ أو هَجَر

وأنتَ من بين ملايين الرجال لا أعذرك ،،

فوحدي مَن يعرفُ كم كنت سيّدَ قراراتك و مواقفك

كلّ مافعلته في حياتك كان بعكس رغبة أهلك ..

لم تدرس ما اختاروا لك ..

لم تعمل مع والدك في شركته

لم توافقهم حين رفضوا سفرك في سنٍّ مبكّر ...

لم تأتِ لتزورهم كل عام كما يفعل المغتربون

لم تعد لتزاول مهنتك في إحدى مشافي الوطن وتقرّ أعينهم بابنهم الوحيد

الذي أغواه الغرب وسحره وقرّر أن يبقى طبيباً غريباً هناك

لِمَ الآن وبعدَ عُمْرٍ من مخالفتهم حاولتَ أن تُرضيهم بقلتي

وأنا على يقينٍ أنّكَ لو أصريتَ على قرارك

وشرحتَ لهم وجهة حبكَ وقلبكَ لَعذروكَ هُم ...... لا أنا !!!

لكنَّ سيِّد الغموضِ لا يتنازل ويُفشي سرَّ قلبه

ولو كان الثمن موت الحُب

فمَنْ يُدمن الغموض يعتاد الهروب

هربتَ لكي لا تواجه ولا تتحمل جزءاً من الألم والعذاب

كان الحلّ الأسهل أن تعودَ من حيثُ أتيتَ و كأنّي لم أكُن

أرضيتهم بذبحي وقتلي وسِرتَ فوقَ حُطامِ قلبي إلى غربِ أحلامك

ناسياً أنني كنتُ يوماً أنثاها

لطالما أحببتُ هذا الإسم الذي تناديني به " أنثى أحلامي"

لكن كنتُ أخشى أن يكون لي من اسمي نصيب

وأبقى مُعلّقةً على حبائل أحلامك

وكلّ ما خشيتهُ كان .....

كيف تطلب مني أن أعذرك بعد كل هذا ...؟!

أيطلبُ القاتلُ من ذبيحته أن تعذره

و خنجره لازالَ مغروساً في فؤادها ؟؟!!

لن أصفعكَ بلومي وعتبي ...

فلو كان لهم مثقال ذرة لديك لما رحلتَ

ولكن لن أعذرك فقد كنتَ سبب دمعي وموتي آلافَ المرّات كل يوم

لن أعذُرك ...

حتى بعد أن راسلتني أنّ أكبر خطيئةٍ اقترفْتَها كانت تخلّيكَ عني ..

فسألتكَ إنْ كنتَ تعرفُ أنكَ ستندم فلِمَ فعلتها إذاً ..؟؟؟

أجبتني : تجري الرياحُ بما لاتشتهي السفنُ ...

أيُّ رياحِ هذه التي أودت بي إلى حتفي

إن كنتَ تدري أنَّ سفينتكَ مثقوبة لِمَ حملتني على متنها

وأنتَ تعرفُ تماماً أنّي لا أُجيدُ العَومَ وأخشى من البحر

لكنَّ ثقتي بكَ كانت أكبر من كل مخاوفي

ثقتي أنّك معي أعمت عيناي عن تفقّد السفينة ..

وثقتُ بكَ أكثر من نفسي

آمنتُ بحبّكَ إيماناً كاملاً أنه سيوصلنا إلى مدائن أحلامنا

كنتُ أسيرُ معكَ مُغمضةَ العينين

والقلبُ هوالذي كان يتبعَك

سامحني .... لن أعذرَك

إلا إن جمعتنا الأيام وشرحت لي تفاصيل الجريمة

كيف خططت لها ونفذتها إن أقنعتني عندها فقط أعدك أن أسامحك

فلست أنا من تموت بالحب ضحية الغموض

شهيدة الانتظار

وإن لم نلتقي فلن أسامحك ليس حقداً أو بغضاً

بل رغبةً في أن ألقاك في الآخرة

ألا يقولون أن الله يأتي بالمتخاصمين

وأنا أريد أن ألقاك أمام خالق القلب

الذي لم يعشق إلاك وتصالحني أمامه

جلّ جلاله وأمسك يدك وندخل إلى الجنة معاً

سامحني لن أعذرك .... بل أريد الجنة معك

رفاه العياش

تقتلهم رصاصة وتقتلني وردة

جلستُ مع والدي نتابع أحداثَ الشّعوبِ الدامية والموت المحدق بهم

والعدو الذي يصوّب رصاصه إلى شعبٍ أعزل

سرحتُ وتذكّرتُ وردةَ حُبكَ الأولى والأخيرة ..

التي لم أكن أعرفُ أين أُخفيها كي لا يراها أحد

وتبقى بيضاء متفتّحة كيومٍ قطفها لي

وضعتُها بين طيّاتِ أحبّ الكتب إلى قلبي

دون أن أفكرَ بعتابِ صفحاته

بلوم كلماته ، حين أهجرهُ وأهجرها

أتوهُ في مكتبتي أتناولُ كلّ كتبي إلا هو ..

أغضُّ طرْفي عنه وعنها

فلا أقوى على رؤيتها صفراءَ ذابلةً يابسة لا عطرَ لها

كلما حاولتُ مدَّ يدي نحوه شعرتُ كأنّ شرارةً كهربائية تنبعثُ منه

فتشلَّ يدي وتُوقف نبضي

ربما لأنها كانت تشبه طفلةً جميلةً خُلقت بأبهى صورةٍ ربّانيةٍ

وفي حادث قدَر شوّهتها أيدي البشر..

فيثقلُ على قلبي أن أراها بصورةٍ مهشَّمة

كانت كلّ ما أرثهُ ... أثمنهُ وأقساهُ

تعيدُ بيَ الزمن إلى الوراء قبلَ مشيبِ القلب ووهن الروح

ليتني زرعتها في خدّيّ وسقيتها بدمعي الذي ذرفته سدىً

وكان حشو الوسائد المُهملة

ليس هناك أرقّ من الورد ولكنه مع مرور الزمن يذبل هو

ولكن شوكه يبقى جارحاً و لومه أقسى من لومِ البشر

لم أكن أعلم أن بمقدوره أن يحمل كل هذه القسوة

وأن عطرهُ يخنقُ الأنفاسَ ذاتَ ذكرى ...

رفاه العياش

بعد وأد الحلم تصبح الحياةُ والموتُ سيَّان

خُيِّلَ إلي أني قد بدأتُ أتعافى منكَ ..

فشاركتُ أمي وجاراتها قهوة الصباح ،،،

القهوة التي باتت علقماً بعد قهوة حُبّنا

استمعتُ إلى أحاديثهم التي لم تستهويني يوماً

وأنا ابتسمُ موافقةَ على ما لم أُعِر انتباهي لسماعه

تحدّثوا بشؤون الطبخ ،،، وزواج ابنة جيراننا

وجارتنا الأخرى التي أجهضت في شهرها الثالث

استوقفتني الكلمة الأخيرة .. فأنا كنتُ في شهريَ الثالث من الغياب

تحدّثوا عن آلامها و الموت الذي كان على مقربةٍ منها

كانت أعراضها تُشبه ما حلَّ بي ..!!!

تُرى هل إجهاضُ الروح كإجهاض الأحلام ؟؟!!

بل أظنُّها أشدّ ألماً ،،، فنزيف القلب لا يُحتمل

كلّما حاولتُ أن أنسى مرّت كلمة لتصفعني

وتذكّرني بألمي ، بذبحة قلبي

كيف أهرب منكَ وأنت سجني وسجّاني

إلى متى سيبقى طيفكَ يلاحقني

و يُفسد عليّ واقعي كما أفسدَ أحلامي ؟

رفاه العياش

عتابُ المرايا

إن تهشّمت مرآتي فمَن يقنعني أنني جميلة ..

مرّت شهور وأنا على نفس الوضع أُجامل كي لا أشرح

أكتفي بقول أني بخير لأُعفى من البوح

أرسم نصف ابتسامة مصطنعة لترضي مَن حولي ولا أُثير شفقة أحد

بتُّ أخشى أن أمرَّ بمحاذاتها ..

أخشى أن أُطيلَ وقوفي أمامها فيجرحني عتابها

ويهزمني نُكرانها

مَن في هذه المرآة ...؟؟؟

أين التي كان نيسان انعكاس ظلّها ؟؟

أين التي كان الياسمين اسمها و تاجها ؟؟

أين التي كانت تُباهي مرآتها بجمالها ولا تنتظر منها رأيها

كيف سرقتَ ابتساماتي

واحتجزتَ ضحكاتي

بعد أن كانت تخرج من القلب صدقةً جارية

واليوم أعدّ لها مراسم احتفالٍ حين تخرج كطفلة

خرجت للحياة بعد ولادةٍ عاسرة

تخونني لغتي .. تخنقني عبرتي

ولا أجد لأسئلتها أجوبة

فأعودُ لأبحث عن أنثى كانت تشبهني ..

كانت تجلس طويلا أمام مرآتها

لا تُعِر اهتماماً لأحمر شفاهها

ولا تبحث عن قلم كُحلها ...

وبعد أن أتيت أصبحتُ أُلازم مرآتي وأحدّق بعينيّ

تُراهما بهذا الجمال الذي وصفته

أم أنّ عيون الحب تجعلنا نرى الحبيب أجمل ؟؟!!

أذكرُ كلماته ومغازلاته فأبتسم لنفسي

وأدقق في ابتسامتي التي كان يخبرني أنه يغرق بها

أيُّ ضربٍ من الجنون عشتُ به ؟؟؟!!

اتجهتُ إلى خزانة ملابسي ..

لم أجرؤ على لمس الثوب الذي قابلته به

تركتُ عليه آثار اللقاء ...

تناولتُ أثواباً جديدة كنتُ قد اشتريتها فرحاً ذات يوم

وانتظرت يوم ألقاه لأمنحها فرحة مشاركتي موعدَ الحب ..

وقفت أنفاسي عالقةَ في صدري

هطلَت عينايَ وعانقتُ وسادتي أبكي أحلامي

رفاه العياش

ذهبتُ بعطر وعدتُ بعطرين

لم يكن سهلاً أن تعود علاقتي بعائلته كما كانت عليه

لم أستطع تناسي أنهم شاركوا في ذبحي

هاتفتني أخته لتدعوني إلى خطبتها كانت تصغرني بخمسة أعوام

ولم أعتد أن أوطّد علاقتي بالفتيات اللاتي يصغرنني بكثير

كنتُ أجد أحاديثهم واهتماماتهم لا تشبهني

لذلك كانت علاقتي بها سطحية

باركتُ لها معتذرةً عن الحضور مُدّعية المرض

لطالما كانت أجواء صالات الأفراح تكتم أنفاسي ولا تشبه هدوئي

وخاصة الآن بعُدت عن مزاجي أكثر

وفقدتُ الشهية لاستماع الموسيقا

لذا كان لا بدَّ من اعتذاري فلا قدرة لي

على تصنّع الفرح أمام عائلته

ولم أرغب أن أراهم بشحوب وجهي

وذبول ثغري في أجواءٍ كتلك

بعد أيام استجمعتُ بقايا قواي

وأخبرتها أني سأزورها لأبارك لها

وأعتذر عن الحضور ....

دخلتُ منزلكم مُنتعلةً قلبي

مرتديةً كبريائي و تجاهلي لعلاقتي بك

وكأنك لم تهبط يوماً على قلبي

ولم تُخلف آثار دمارٍ وتخريب إثر هبوطك وإقلاعك المفاجئ

ووجدتها مثلي أيضاً ترتدي معطف التجاهل ..

كنت بحاجةٍ لأن أرى بيتكم بعد أن دخلته وبعثتَ فيه الروح

كنت أشعر أن لي صلة قرابة بذاك البيت

وعليّ أن أتفقّد إرثي العاطفي هناك

أو ربما كان كيد أنثى ، غيرتها ،وفضولها

أن ترى المكان الأخير الذي منحته حقّ وداعك وحرمتني إياه

ويحَ قلبي .. أأغار من الأماكن ؟؟!!

نعم أغار من أي شيء ومن كل شيء

كم كنتُ أنانيةً في حبك لكن ذلك لم يكن ذنبي

فأنت من أغدقت عليّ بفيض حبك وكرم قلبك ...

واليوم كيف أتقبّل شُحّهما ؟!

جلستُ في غرفة الضيوف ، قلّبتُ المكان بناظري بهدوء

دون أن أبعثر عطرك عن الوسائد ..

دون أن أنفضَ الغبارَ عن مكانٍ جلستَ فيه يوماً

طلبتُ منها كأس ماءٍ وبينما ذهبت لتحضره

كانت عيناي ترنو إلى سجادة صلاةٍ مطويةٍ في زاوية الغرفة

سارعتُ إليها احتضنتها شهقتها وحبستُ أنفاسي

كنتُ على يقينٍ أنك صلّيت عليها يوماً..

الصلاة التي كنتَ تأمرني بها وتقطع محادثتك معي لأجلها

وتوصيني بالدعاء لك وأنا أصر على ال "نا"

وأقول لك بل سأدعوا لنا

وأوصيك بالدعاء لنا ولحبّنا

وبعد الانتهاء من كل صلاة تسألني ماذا دعوتِ لنا ؟؟

فأجيبك أني أخبرتُ ربي بكل شيء

أخبرته أن قلبي معقودٌ بقلبك

وناجيته أن يجعلك

سعادتي ستري في الدنيا والآخرة

وأسألك السؤال نفسه .. لكن غموضك أكبر من أن تريح قلبي

فتقول لي دعوت وانتهيت ، هذا سر بيني وبين ربي

كنتُ ألحّ كثيراً في سؤالي إلى أن قلتها ذات مساء سهواً

أنك بعد كل صلاة تناجي الله

أن نصلي معاً على سجاة صلاة واحدة ...

أعدتُ السجادة إلى مكانها وعدتُ مسرعةً إلى مكاني

بعد أن خزّنت في روحي عطرك

وسددتُ مساماتي لكي لا يتسرّب

لم أُكثر الحديث معها .. كنتُ أستمع بحذر وخوف

أن يُذكر اسمك وتلمحكَ في عيني

عيناي اللتان كانتا تبحثان عن أثرك على الجدران

أو الأرضية التي سرتَ عليها وعلى قلبي يوماً

لا تقلق لم تكن حاضراً في أحاديثنا الباردة

فقط كنت حاضراً في قلبي وروحي

لم أستطع المكوث طويلاً .. تعمّدتُ الهروب

قبل أن تحضر والدتك التي لم تكن في البيت

فوحدها التي ستشعر بحرائق قلبي الذي رمت عود الثقاب فيه

وأنت سكبت النار بعدها

كنتُ أعلم أني سأختنق مجدّداً ...

لكن لا أخفيك أني اشتقتك كثيراُ وذهبتُ أتفقد المكان بعدك

لعلّي أجد فيه أثراً لك ينقذني من نوبات الحنين

رفاه العياش

ماذا لو

ماذا لو تبادلنا الأماكن ؟؟

أنا رحلت ظلماً وأنت بقيت مكاني

ترى هل كنت ستموت وجعاً كما متّ

هل كان سيصفعك رحيلي آلاف المرات

هل كان سيشقيك ... و سيشرّدك غيابي

هل كنتَ ستخلص لطريق ،، لرصيف ،، لحجارة كما فعلتُ

هل ستؤلمك الذكريات كما آلمتني

هل كنت ستختصر العمر بأيام حبّنا القليلة وتعيش على ذكراها كما فعلت أنا

وجنوناً ستنتظر مروري ذات صدفةٍ وأنت تعلم أنه بيننا أبحر وجبال

فتبكي ليلاً جنوناً وجعاً اشتياقاً .. وتشرق الشمس وتتوسط السماء وأنت تبكي وتنام

دون أن تشعر،، بعد أنهُرٍ من البكاء تسيل كل ليلة وتسقي قطن الوسادة التي طالما حضنتها ذات فرح ...

هل كنتَ ستلغي الغد وتعيش على الأمس ؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟

قسوتك وظلمك كانت تجيب على تساؤلاتي كلها بِ (لا)

فلا امرأة على وجه الأرض ستفعل مافعلت

لا امرأة ستخلص كما أخلصت

لا امرأة ستموت من وفائها للحجر الذي مر عليه من أحبت من البشر

لا امرأة تمضي عمراً من الوفاء ورصيدها في الحب أيام

لا امرأةً تلغي حضور البشر جميعهم لغياب من أحبت

لا امرأة ستطفئ أنوار الكون بعد ظلم الرحيل

لا امرأة ستسجن نفسها ضمن دائرة ذكريات تجلد بها روحها كل يوم

لا امرأة ستبكي طفليها اللذين كانا حبراً على ورق

أتعلم لِمَ كلّ هذا ....؟؟

لأني أحببتك بعاطفة نساء الأرض كلها

وأحببتني بقلب رجلٍ واحد لم يغامر ،، لم يجازف

إلا بشيء واحدٍ فقط هو قلبي

أما أنا لو كنت مكانك فهل كنت سأستطيع

أن أبدأ من جديد وأعود من حيث أتيت

وكأنني ما اقترفت الحب ولا أذنبتُ بالرحيل

هل كنت سأقلب صفحة حبك من كتاب عمري

كأي صفحة لا معنى ولا قيمة لها ؟؟

هل كنت سأستيقظ كل صباح وكعادتي أشرب قهوتي دون أن أذكرك وأغصّ بها

وأتجرّع مرارة غيابك

وأرتدي ثيابي ذاهبةً إلى عملي دون أن أفتقدك

أضحك مع أصدقائي ، أشاركهم رحلاتهم ضحكاتهم دون أن أشتهيك معي ؟؟

هل كنت سأنام من التعب دون أن أفكر بك كما فعلت أنتَ

وتمضي الأيام والشهور دون أن تمر في خيالي

وإن مررت أرسلُ إليك بضع كلمات خالية من الروح والحب

تزيد وجعك وجعاً ...؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟!!!!!!!!!

كم بخستَ ثمن حبي لك ... وكم كان ميزان الحب ظالماً لديك

فرقٌ كبير بين كفة حبي وكفة حبك

فرقٌ كبيرٌ بين قلبي وقلبك !!!!!!!

....

رفاه العياش

نـاي

أتذكرُ هذا الاسم الذي اخترناه يوماً لطفلة أحلامنا ..؟؟

التي رجوت الله أن تشبهني

أيستوقفك هذا الاسم ..؟؟

أيجلدكَ كما يجلدني ..؟؟

أيُدمي قلبك عزفُ الناي كما يُدمي قلبي ..؟؟

يالجبروتك كم روحاً أزهقتَ في رحيلك ..؟؟!!

كيف طاوعك قلبك أن تقتل طفلتنا بعد أن زرعتها في رحم أحلامي ..؟؟!!

ماذا سأخبرها اليوم عن أبيها الذي كان يأسرني بطيب قلبه

كيف استبدلته بكومة حجارٍ ورميتني بها

مَن منحك حقّ وأدها ..؟؟

كيف حولتني إلى نـايٍ مبحوح لو نفخ فيه أهل الأرض

أجمعين لما أصدر غير صوت الألم والأنين ..؟؟

بعد أن كنت نـايتك التي عزفت على وقع أنفاسك

أجمل ترانيم الحب والحنين ..!!

كم كانت أحلامي معك بسيطة

مختصرها أنت وطفلين يشبهاننا

وجدران دافئة يزهر بينها حبّنا

ربما لأنها كانت بسيطةً

كان من السهل عليك تحطيمها

ليتني كنتُ كباقي الفتيات اللاتي حلمن بالذهب واللؤلؤ

والمنازل الفاخرة والفساتين المرصّعة

ربما كنت ستجد صعوبة في الوصول إلي

وستجد عناءً في تلبية احتياجاتي وتحقيق أحلامي

لكنني احتجتك روحاً وترفعتُ عن المادة ...!!!

كم تمنّيتُ أن أكتبَ قصتي معك

في بيتك ..

بقلمك الذي منحته الأيام حقَّ جوار قلبك

والاستماع لنبضك

لأكتبها بقلبي وقلبكَ

لا بحُرقتي وغيابك ..

وفي بيتنا طفلتنا التي اتفقنا على اسمها

واختلفنا هل ستُشبهني أم ستُشبهك

وأنا أعِدُّ بحبٍّ لك طعامك

وأشاركك قهوة صباحك

وأنا أحرسك في نومك وأرسمكَ بحروفي كرسّامة مذهولةٍ

ترسمُ لوحةً حبّها .. فأفخرُ أنّي امتلكتك

وأنا أنتظرك على عتبة بابك

فأحمل عنك ما يثقلك

أسرح في ترتيب أفكاري وينقطع حبلها أثناء تجوّل ناظري

لأنني تعثرت بجمال الكون في عينيك

فتُغيثني بحبلِ وصلٍ من عناقٍ وقُبَل

وأتّكئ على صدرك لأستمع إلى سيمفونية نبضك

فأعودُ طفلةً صغيرة في أحضانك

لم يسبق لها أن أمسكت قلماً أو تهجّأت حرفاً

فلا قبلَ قبلك

ولا بعد بعدك .

....

رفاه العياش

ويح قلبي

ويح قلبي الذي حكم على نفسه بالوفاء

ويح قلبي الذي حكم على نفسه بالشقاء

ويح قلبي الذي لم يتوقف يوماً عن الكتابة لك دون أن تعلم أو تقرأ

ولم يتوقف عن الدعاء لك في كل سجدة وكل لحظة خشوع

ويح قلبي الذي لم ينبض إلا لك .. ولم ينزف إلا لرحيلك

ويح قلبي المصاب بقدسية الذكريات فأغمضَ عينيه عن مشاهدة مسرح الحياة

ووحده شريط ذكرياتنا الذي يمرّ أمامه فيواصل التصفيق وجعاً من الخيبات

كم هو مؤلمٌ أن أقدّس الذكريات وأنت تنساها

أن أحفظ كل كلمة بتاريخ قولها وأحداث ذاك اليوم الذي قيلت فيه

تمر أمام عيني وكأنها تقال الآن

وأنت غيّرت التاريخ وكفرت بالذكريات والحب !!

ويح قلبي الذي نقشك على جدرانه ونقشتني على رمل بحر غيابك

ويح قلبي الذي خبّأك بين النبضة والأخرى

وويح قلبك الذي رماني وراءه

ويح قلبي الذي مازال يتبعك وويح قلبك الشارد المتشرّد في ظلام البعد

ويح قلبي الذي لم ينسى وهنيئاً لقلبك الذي يسلى !!!!

فأن تمرض بأحدهم وتصاب بقدسية الذكريات

فذاك المرض وجعه كحروق من الدرجة الثالثة

لا يمكن وصف ألمه ولا احتمال وجعه

وكلما تناولت المسكّنات تبرد النار بعض الشيء

ولكن نظرة واحدة إلى أثر الحروق تبعث الألم من جديد

وكأنها لحظة الاحتراق تلك الحروق تترك أثراً مشوِّها تماماً كما تفعل الذكريات التي

تسجن نفسك بينها

وطيفها الذي لايغادرك هو كأثرها الدائم

ويح قلبك الذي لم يجعلك تراني في كل مريض أو مريضة تزورك

كيف لم تتخيل جراحي النازفة في كل عملية تجريها

كيف لم تُذكرك الدماء بدمي المراق على طرقات غيابك

ربما هكذا الأطباء يقسمون أن يتبرأوا من قلوبهم ليؤدوا مهنتهم بلا قلب

ويح قلبي الذي جعل من هروبك وعجزك وضعفك أسطورة

ويح قلبي الذي منحك دور البطولة في قصة حبه الموؤود

وجعل منك بطلاً .. فالأبطال شجعان وأنت كنتَ بطل قلبي الجبان الهارب ...!!!

فذهبتُ بعطر وعدت بعطرين

....

رفاه العياش

ذنبي

قلبي كلاجئ لفظته أوطانه وضاقت عليه مدينته

هاجر ليبحث عنك لا عن مأمن ولا مسكن

عنك وحدك أو ربما عن رجل كان يشبهك

فما نفع بيتي ووطني إن نُفيتُ من قلبك

وكلاجئ عاسر الحظ رمى نفسه في البحر

وراح يجدّف بأعواد الثقاب التي رميتَها فيه

باحثاً عنك آملاً أن يصل إلى َبرّك

ولأنه مُثقل بالجراح والخيبات لم يطفو على السطح

بل غرق ونزل إلى قاع البحر

حتى خفر السواحل تآمروا عليه ولم يساعدوه

انتشلوه جثة قلب ...

يحمل في جيوبه أوراقه الثبوتيّة المنسوبة إليك الموقعة بالدم والدمع

وطلب اللجوء العاطفي إلى قلبك

فأعادوه إليّ جثة مشرّدة .. لأدفنه بيدي في أرض وطني

لكن الذنب ذنبي ..... فأنا مَن نسيتُ أن أقرأ على قلبي دعاء السفر

منذ ركب سفينة حبّك إلى أن غرق في بحر غيابك ...!!!

....

رفاه العياش

تذكّرت أنني قوية

ولأنني كنتُ قوية كان انكساري موجعاً ،، وضعفي مؤلماً ضِعفين

ربما كان أحد أخطائي أني تناسيتُ أنني كنت قبلك أنثى قوية

أنثى تسمع صوت عقلها لا نبض قلبها

تؤمن أن الأنثى القوية هي التي لا تهتم لوجود ظل رجل في حياتها

تعتمد على ذاتها

تبني اسمها بعلمها

ويكفيها ظل والدها يحميها ويسندها

اليوم فقط عرفتُ أنني كنتُ محقّة حين كفرتُ بالحب وابتعدتُ عن الرجال

كنت أخاف الفقدَ ، أخشى الإنكسار

كم كان حدسي قوياً في ذلك ..؟!

ليته كان قوياً حين فتحتُ لك باب القلب ..

أتعلم إلى الآن لا أدري أنا فتحتُ لك باب القلب أم أنت من حطّمته ..؟!

بل ربما تواطأ قلبي مع ثورة مجيئك لينال نصيبه من غنائم الحزن والألم

الألم .... لم أعد أرى أن هذه الكلمة تنصف ما بداخلي

أحتاجُ أبجديةً جديدةً تصف سقوطي من علوٍّ شاهق

وانهيار جبال كبريائي حين تمرّ الشهور وأنا أنتظر بضع كلمات تأتيني منك

وفي كل مرة تصفعني بأنك لاتستطيع أن تعِدني بشيء

وأمضي أياماً بلياليها أفكر كيف يمكن لقلبك أن يفعل بي ما فعل

ويعجز عن النطق بالوعد

ماذا ستكلّفك تلك الكلمة ..؟؟؟ لاشيء أكثر من حروف مكتوبة

لكنها قادرة على أن تشفيني ،،

كانت عندي كمطر إن هطل على حقول روحي سيحييها

فترسم ابتسامة أمل على نافذة قلبي التي لا تطل إلا عليك

وأنت تعلم تماماً أنني أنثى تؤمن بالقدر وأن الوعد لايصارع القدر كالدعاء

الوعد منك والدعاء مني ..

ففي أي قصة حب الحكم الأخير للقدر

هذا الفرق الكبير بيننا أنك رجل واقعي جداً وأنا أنثى حالمة جداً

قد تعيش على أملٍ ضئيل وتحيا بوعدٍ بعيد قد لايتحقق

أنثى تغذّي روحها المعطوبة بالأحلام وتتعلق بحبائلها

أنثى أحلامك ما استحقت منك بعد كل هذا حتى الوعد ..!!!

كنتُ أدرك تماماً أن امرأة مثلي حين تقع في الحب

ستحبُّ من كل قلبها وستُغرق مَن أحبّت في بحر عشقها

لكني ياسيدي أحببتك بقلوب نساء الأرض جميعاً

وغرقتُ في بحر ظلمك

كنتَ محقّاً حين أخبرتني أنني استثنائية

وحتى في وجعي كنتُ استثنائية

فأشهدُ أنه ما من امرأةٍ بكت حبها كما بكيت

ما من امرأة نزفت وأد حلمها كما نزفت

وما من امرأة انتظرت طيف حبيبها كما انتظرت

انتظرتكَ عند كل مفرقٍ .. عند كل منعطفٍ .. عند كلّ رصيفٍ

في محطة القطار ،، في مواقف السيارات ..

وعند مهبط الطائرات ..

ولكن كان عليّ أن أتخطّى عتبة الألم وألتفتُ إلى حياتي

حياتي التي نسيتُ كيف كان شكلها قبل مجيئك

ولكن تذكّرتُ أنني كنتُ قويةً قبلك ..

تذكرت ذلك حين أخبرني والدي أنه تم قبول طلب توظيفي في أهم صحيفة في مدينتنا

أخبرني والفرح يلمع في عينيه

والدموع سرعان ما ملأت عينيّ .. تمنيتُ أن تكون معي وتشاركني الفرحة الذي زارتني في غيابك

أو حتى على الأقل أن أتمكن من نقل الخبر إليك

كيف السبيل إلى ذلك ونحن منذ أربعة أشهرٍ لم نتراسل ولا بكلمة انقطعت أخبارك تماماً عني

لكن إجلالاً لفرحة أبي تمالكتُ نفسي ولم أغرق في دموعي كثيراً

وعزيتُ نفسي أن أحلامي بدأت تتحقق

فربما كنت أنت الحلم التالي

لا أعلم لِمَ تمنيتك معي وقتها

لِمَ قسمتُ لك من رغيف فرحتي نصفه ..؟؟

مع أنني أعرف أنك لست من هواة القراءة ولا تُقدّس القلم

ووظيفةٌ كتلك تعني لي بداية الحلم .. ولا تعني لك وظائف الدولة شيئاً

فلا البلد ولا وظائفها ولا صحافتها وصحفيّتها كانوا يعنون لك شيئاً

استيقظت في الصباح التالي لألتقط حلمي من يد القدر

فتلك الوظيفة كانت جُلّ أحلامي قبل أن تحتلّ قائمتها

وكما وضع القدر حلماً قديماً في يدي لعلّه يردّك إلى يدي وقلبي ذات يوم ...

بدأتُ صباحي بالأمل والتفاؤل بعد طول غيابهما عن صباحاتي

كنتُ بحاجة إلى عملٍ كهذا فالعمل يشغلنا

ويجعلنا ننسى أن نسأل أنفسنا إن كنا سعداء أم تُعساء؟؟

قررتُ أن أعود الأنثى القوية الطموحة

لكن أحتفظ بك في زاويةٍ من يسار صدري

سرّاً بين نبضي ووجعاً بين قطرةٍ وأخرى في شراييني

لم أكن أعلم يوماً أنني درستُ الصحافة وعشقتُ القلم

لأكتبَ سبقاً صحفيّاً عن فضيحة قلبي بك ، عن انهيار مملكة غروري أمام عينيك

عن تورّطي بحبك ومرضي بك

كان سَبقاً صحفيّاً أن يعتاد قُرائي القليلون على نقدي اللاذع بعض الأحيان للسياسيين

ومدحي للوطن كل الأحيان وتمجيده والفخر به ..

واليوم يقرؤون أول مقالاتي في جريدةٍ ينتظر عددها كل يوم الآلاف

عن الحب والعشق !!!

أردتُ أن تكون أول كتاباتي عنك وأن أبدأ منك ومعك وبك

مستقبلي الذي لا أدري إلى اليوم ما إذا كان يعنيك ..؟؟

كتبتُ أول مقال لي بعنوان : "حلمٌ لم يتبنّاه وطنٌ ولا قدر"

(بنيتُ معكَ حلماً جميلاً إلى حدّ أن خرائبه حتى الآن تكفيني

واليومَ أصافح القدر وأرشيه بابتسامة أنت سرها لعلّه يعيدك إلى

قلبي واقعاً أجمل .. يا حُلُماً بات شهيقي و زفيري منك أبدأ وبك أنتهي ..)

كان مقالاً طويلاً جميلاً وغريباً كحبي لك ..

لقي التعجّب من قُرّائي القدامى الذين اعتادوا على كتاباتي البعيدة عن نفسي

وقلبي

القريبة من نبض الشارع والوطن

لكن بعد ثورة حبك وغيابك لا أستطيع إلا أن أكتب بقلبي عن قلبي

شعرتُ بتحسّن بعد أول يومٍ لي في عملي

حتى عائلتي لاحظت ذاك الفرق فقد عُدت وعلى وجهي آثار ابتسامةٍ

لكن لا أحد عرف سرّها ..

لم يستطع أحد أن يدرك سبب تحسنّي هو أني فقط كتبتُ عنك ..

وتنفّستُ لأنني تصالحتُ مع الأوراق والقلم شريطة أن تكون أنت مادة كتابتي

بتّ أنام دون عناء البحث عن النوم وكأنني أنام على حلم لقائك بين سطوري

وأستيقظ باكراً أتجهّز للقياك

أسيرُ في الشوارع المزدحمةِ بالناس والخالية منك ...

كم أفتقدك في ذهابي وإيابي ، أبحث عن وجهك بين المارّة

ولكن طيفك لم يفارقني طرفة عين يحوم حولي يشعرني بالأمان

ويالَغصّة قلبي إن لمحتُ عاشقين يسيران أمامي

تمسكُ يده وهو يغازلها ..

كم تمنيتُ أن أمسك يدك ونمشي في الشوارع

نحكي قصة حبنا للبشر والحجر

ويالذبحة قلبي إن لمحتُ وردةً بيضاء فتعودُ بي الذاكرة

إلى وردة حبّنا اليتيمة التي ذبلت ويبست كحالي .. فتدمع عيناي وأكمل طريقي

أسير على الطرقات وحيدةً أتعثرُ بدموعي وأختنقُ بغصّة قلبي

أشعر وكأن الطرقات هي التي تسير على قلبي ..

ليتكَ تعلم كم أنا وحيدة دونك ..!!!

....

رفاه العياش

ندم

وإن أخبرتني أنك نادم فماذا أفعل بكلمةٍ قيلت بعد الرحيل

مخطئٌ إن ظننت أن ندمك بعد الآن يفرحني ..!!

ماذا أفعل بكلمة ياليت التي جاءت ضمن سياق حديثك البارد ذات يوم ..

أين أصرف ندمك بعد الرحيل وانقطاع طرق الرجوع؟؟

ما قيمة كلمة بعد مرور زمن الفعل

فالأفعال هي براهين الحب لا الأقوال

لكن لاأخفيك أني أشفق عليك من وجع الندم لأنني أعلم كم هو قاسٍ

أشفق عليك من فقدي الذي سيبقيك وحيداً ولو أحبتك نساء الشرق والغرب

لأنك ستبقى تبحث بينهن عمّن تشبهني ولن تجد

ستراني في كل وجوههن ولن تراني

أشفق عليك لأنك ولو أنجبت قبيلةً من الأطفال

لن تتذوق حلاوة شعور الأبوّة لأنك لست أباً لأطفالي

وحدسي يخبرني أنك ستغلق باب قلبك بعدي ..

فمن يعشق أنثى مثلي ولا يظفر بها سيصوم أبد الدهر عن النساء

تماماً كما أغلقت بعدك باب قلبي بالشمع الأحمر وأعلنته مدينة مدمّرة

لكن أأخبرك سراً لم أندم ولو لحظة واحدة أنني أحببتك

بالرغم من كل الألم الذي أهديتني إياه

ورصيد الخيبة الذي أودعته في بنك عمري

فأشهد أنني أحببتك وأحببت حبي لك ورضيت بوجعي منك

يا أجمل ما في العمر وأقساه

رفاه العياش

وما الحب إلا دقّتين

وما الحب إلا دقتين دقة قلب ودقة باب .. فحين دقّ القلب لك واعتليتَ عرشه وعاهدك على الحب والوفاء عمراً وأكثر

انتظرت الدقة الثانية وحلمت بها كل ليلة ليس كما طرقت بابنا أول مرة وحيداً بل انتظرت أن تطرقه بيد والدك ووالدتك

أن تأتيني بصحبتهم وأسمع صوت والدك يطلب يدي من أبي وأرى دموع الفرح في عيون والدتك

أسمعهم يقرؤون فاتحة خطبتي لابنهم الذي أحببته كما أحبوه وأجزم أني أحببتك أكثر

وأستمع لنبض قلبك لحظتها وترى زهور البنفسج تتفتح على خديّ خجلاً وفرحاً وحباً

كم تمنيت أن تأتيني يومها حاملاً في جيبك خاتماً ولو من حديد تحبس به قلبي

قلبي الذي أصابه الصدأ وهو يحلم بقطعة الحديد تلك

كم تمنيت أن أرى فرحة والديّ بمن اختاره قلبي بعد أن صام عُمراً عن الحب

وأفطر على عُمَر

وأجمل قصة حُب في تاريخ الياسمين ....

رفاه العياش

كتبتك لأتنفس

نستنزفُ حبرَ القلب لنكتبَ عمّن نحبّهم رغم يقيننا أنهم لا يقرأون

لكن نكتب ليقيننا أنهم يقرأون نبضنا عن ظهر حب ،،!!

لم أجد دواءً لمرضي بك سوى أن أكتبك

فقد كانت مقالاتي عنك كجلسات رذاذ تشفيني من نوبات الاختناق

لم يكن يعنيني رأي آلاف القرّاء لأنك لست واحداً منهم

كم تمنّيتُ أن أسامح القدر بالآلاف وتقرأ وحدك ما أكتب

كم ستحبّ نفسك حين ترى كيف رسمتك حروفي لهم

كيف زخرفك قلمي كلوحة فسيفساء نادرة يتمنى الكل أن يحظى بمثلها ..

إلى اليوم لم أستطع أن أكتب عن رحيلك

ربما لأنني كنت أحاول استبقاء شعور الفرح بالحب

الذي فارقني منذ فترة طويلة

كنتُ بأمسّ الحاجة إلى جرعة الفرح تلك مع بداية عملي

تتالت مقالاتي بنفس وتيرة الفرح وكان المديح والإطراء

يُحفّزني على الاستمرار وتقديم الأجمل

إلى أن جاء اليوم الذي قررت فيه أن أكتب عن وجعي ورحيلك

لا أدري كيف توصّلتُ إلى ذاك القرار بشكلٍ مفاجئ

وكأن سيروم الفرح الذي يقطرُ في وريدي قد نفذ

واستيقظتُ من التخدير الموضعي وعدتُ أشعر بالألم من جديد

وكأنك رحلت بالأمس

كتبتُ عن الفقد ، عن الشوق ، عن الألم وعن وأد الحلم ...

ومن أحقّ مني بالكتابة عن كلّ ذاك ...؟؟؟!!!

ومَن أجدر مني برثاء أحلامي ..؟؟!!

فمن أصدق من الأعمى إن رثا عينيه

من الأم إن رثت طفلها ... من الأبكم إن رثا حنجرته

ومَن أبلغُ من الفاقد رئته إن كتب عن اختناقه

من المصاب بقلبه إن كتب عن قلبه

من المشنوق بحبل أحلامه إن نعى حلمه

أنا كنتُ كل أولئك ياسيّدي

فلك أن تتخيّل بأي وجعٍ قد كتبت ...!!!

فليس كما أخبرونا أن فاقد الشيء لا يعطيه ..!!

بل هو مَن يعطيه وبصدق لأنه تجرّع

مرارة الفقد والحرمان

لكن الغريب أن كتاباتي عن وجع الفقد وألم الرحيل ونزف القلب

لقيت الإعجاب الشديد في أوساط القُرّاء

وإن تأخرتُ بالكتابة عاتبوني ...

كنتُ أتأخر على قرّائي لأنني عُدتُ لفصل البكاء

من جديد وبنفس الغزارة وكأنني أعيش الوجع الآن وكأن رحيلك لم يمضِ عليه

ما يقارب العام !!

تأخّري بالكتابة كان لتأخّر صحّتي من استحضار الحزن وجرّه إلى سطوري

من نبش ثرى أحلامي ..

من تجميل الوجع و تأطيره في إطارٍ جميلٍ ليعجبهم

إعجابهم وترقبهم حروفي استوقفني كثيراً...

تُرى هل بتنا شعباً يُدمن الحزن ... يقتاتُ على وجبات الحنين البائتة

شعب انشغل عن حاضره ومستقبله بذكريات أمسه

حتى أصبحنا أسرى الماضي ..

أم هل فقدت الحياة قدرتها على مفاجأتنا وصار الحاضر خالٍ من الصدفة

والدهشة

لذلك نتمسّك ببراثن الماضي فتنهشنا

لم أستطع أن أحدّد السبب لذلك الإقبال الهائل على كتاباتي الموجعة

لكن ما أجزم به .. هو أنه ازداد عدد ضحايا الأحلام في وطني

وجثث شهداء الحب تسير في الطرقات دون أن يشعر بها أحد

والمصابون بنزف الفقد قد عجزت بنوك الدم عن التبرّع لهم

فكلّ أكياس الدم التي اختزنوها لا تشفيهم ..

شفاؤهم لن يكون إلا بوعدٍ ووفاءٍ ولقاء !!!

وقفت عند نافذة مكتبي أراقب خيوط الشمس التي تدخلها وأنظر إلى سماء

دمشق كم هي صافية وجميلة

لطالما سحرتني منذ نعومة أظفاري كيف لم تسحرك ؟ كيف لم تجذبك

هل هي كانت قاسية لم تحتضن حبّنا أم أنت كنت جاحداً بي وبها ؟؟!!

تذكرتُ آخر رسالةٍ وصلتني منك حين سألتني لِمَ مازلتُ أحبك كل هذا الحب بعد

أن أوجعتني كل هذا الوجع ..؟؟

لأول مرة أشعر بأنني عاجزة عن الإجابة عن سؤال ما

أنا التي كنتُ أتلاعب بالكلمات وأرسمها بطريقة ساحرة تُذهلك كما ترتسم

النجوم في صفحة السماء

لم أعرف يومها ماذا أجيبك ..

ربما لأنني وجدت أن سؤالك لا يليق بغيابك !!

تمنّيتُ أن نكون معاً في مساءٍ مُقمرٍ أتلو فيه على مسامعكَ أسباب تورّطي بكَ

وأنت تُحصيها وكأنك تلتقط نجمةً تلو الأخرى من السماء

وتفخر بامتلاك القمر ،، وحين أتلعثم بإجابتي تنقذني عينـايَ وتُكمل فراغاً من

كلماتي

اغتاله الخجل .....

فكّرت أن أكتبَ مقالاً عن ذاك السؤال لأستعيد ثقتي بنفسي بعد أن أخفقتُ بالردّ

على سؤالك

بجوابٍ يليقُ بي وبحبي لك

لكن إخفاقي كان منطقيّاً جداً فكيف نستطيعُ أن نشرح أسباب الحبّ..؟!

هو ليس جريمة خُطّط لها ولا صفقة تجاريّة تمّ حساب نسبة أرباحها

حبكَ ياسيّدي ما كان إلا ظاهرة كونيّة مرّت في حياتي

مجهولة الأسباب لكن واضحة النتائج

كخسوف القمر وكسوف الشمس ياشمس عمري وقمره

أتدري ماهو الأشدّ إيلاماً في هذه الحياة ؟؟

هو أن تتجاهل السعادة إن لمحتها مرّت بقربك مصادفةً ليقين قلبك أنك لستَ

وجهتها

فنصيبكَ من السعادة قد تعلّق بحقيبة سفرٍ لا تدري في أيّ أرضٍ أصبحت !!

ومع طول الغياب تنسى مَن أنت .. وتنسى تاريخ ميلادك

وتستبدله بيوم ميلاد الحبّ فيصفعك القدر بقِصَر عُمر ذاك الحبّ

ويمنحك شهادة وفاةٍ لقلبك وتضطّر أن تكمل مسيرة الأيام الثقيلة

كشهيدِ حُب ....

رفاه العياش

القلب ومفتاحه في حقيبتك

في إحدى الصباحات كنتُ تائهة في أوراقي أكتبُ لك وعنك

وإذ بأحد الزملاء يطرق باب مكتبي كان شاباً وسيماً

على قدر من اللباقة واللطف استأذن للجلوس

وسألني عن أحوالي كنت أجيب باقتضاب

راح يبدي إعجابه بكتاباتي وأسلوبي

شكرته وأبديتُ انشغالي بالكتابة

حتى شعر بالحرج واستأذن للمغادرة معتذراً عن إضاعة وقتي

وفي اليوم التالي وجدته ينتظرني في مكتبي ويحمل في يده باقة من الورود

سلم علي وقدّمها لي متمنياً أن تنال إعجابي

لم تطاوعني يداي أن أتناولها منه

أحسستُ للحظات أنهما قد شُلّتا

شعر بالحرج فوضعها على مكتبي دون أن ينطق بكلمة

شكرته وطلبت منه الجلوس

جلس والارتباك بادياً على وجهه

عاد مجدداً يمدح كلماتي واتزان شخصيتي

ثم سألني عن والدي وأنه ينوي زيارتنا

مع عائلته .....

لكن يودّ أن يسمع رأيي بموضوع الارتباط

لا أدري كيف صرخت في وجهه بغضب .. لا

تمنيت لو كنت بلباقته

لكن ما استطعت أن أتمالك نفسي

للحظة شعرت أنك خلف الباب تسمعنا

خفت منك وعليك وعلى نفسي

كيف أوضحُ لغريب يطلب يدي أن يدي ليست لي وقلبي ليس معي

كيف أشرح له أني على ذمة قلبك البعيد الغائب

وأني على قيد حلم

كيف أخبره أن قلبي ومفتاحه في حقيبتك

سألني ماسبب رفضي القاطع ..؟؟

ارتبكتُ واحترتُ بماذا أجيب

ثم أطرقت .. أنت شاب لطيف وعلى خلق وأظن كل الفتيات هنا

يحلمن بك .. لكن أعذرني لا أفكر بالارتباط في الوقت الراهن

فقد انقطعت عن إكمال دراستي منذ فترة وانشغلتُ بالعمل

أنوي أن أتابع لأنال درجة الدكتوراه

وأتمنى أن تجد من تستحقك

لا أظنه اقتنع بحجي الواهية لكن انسحب بلباقة كما جاء

كيف أقول نعم لرجلٍ غيرك وأنا بعدك قد حذفت حروفها الثلاثة من قاموس حياتي؟؟!!

أتعلم كم أشفقتُ عليه ... فأنا أكثر من يعلم كم هو مؤلم كسر القلب

لكن ليس الذنب ذنبي

فمذ رحلت وأنا أهدي لمن حولي جراحاً

من فيض جراحك في قلبي

ليته علم أنني أصبحتُ بعدك طيراً بلا جناح وقلباً بلا مفتاح

....

رفاه العياش

مرّت سنة

مرّت سنة على حبي لك ،، على مرضي بك

سنة كنتَ أجمل مافيها

كان اسمك عطرها

ونبضك البعيد القريب روحها

سنة كنت سبب فرحي وحزني ،، ضحكتي ودمعي

لكن .. كل فرحةٍ منك كانت تمحو حزناً قبلها

وكل ضحكةٍ لك كانت تمسح دمعةً سبقتها

في هذه السنة تغيّرتُ كثيراً ..عرفتُ معنى السهر شوقاً

بعد أن كان عبئاً وعبثاً

عرفتُ كيف تُشرق الشمسُ من حروفك حين ألمحها

أعدتُ قراءة كتب الحب التي كنتُ قد قرأتها قبل أن أعرفك

ففرقٌ كبيرٌ أن تقرأ عن الحب وأنت على قيد الحياة

وأن تقرأ عنه وأنت على قيد الحب

حاولتُ أن أهرب من حزني بعد غيابك وأنشغل بالكتابة عن الوطن..

كتبتُ ،، لكن وجدتك بين أصابعي والقلم

وجدتك بين السطور وبين النبض

ووجدتُ أنك أنت الوطن !!!

شغلتني الكتابة لكنها كانت عالماً أختلي به معك

أخبركَ فيه عن كلّ ماعجزت أن أقوله لك ضعفاً وخجلاً وخوفاً

مرّت سنة ... وكل يوم أُسائلُ نفسي ترى إلى أيّ حدٍّ أحببتك ؟؟

اليوم أظنني أدركتُ إلى أي حدّ ..

حين قررت أن أقرأ كتاب الله وأهديك ثوابه

قرأته بقلبٍ خاشعٍ عاشقٍ خائفٍ

خشية أن أسهو عن حرفٍ أو معنى فينقص من الأجر شيئاً

لا أذكر عدد المرات التي قرأت فيها القرآن لكن أذكر أنني لم أفكر يوماً

أن أهدي ثوابه إلى أحد ولا حتى والديّ

فاليوم وفي ليلة القدر الذكرى الأولى لرسالة حبك الأولى

أتتمت هديتي لك وعرفتُ أنني أحببتك أكثر من أي أحد

وحتى أكثر من نفسي

لذلك لن أتساءل بعد اليوم عن الحد ..فالعشق لا حدود له

ربما تمنّيتُ أن أهديك كالعشاق شيئاً ملموساً

كزجاجة من عطري المفضل ليكون أثري في كل مكانٍ حظي بإقامتك

لتنثر عبيري على أماكن ما زرتها معك ولكن قلبي رافقك الزيارة

لكني ما استطعتُ إلى ذلك سبيلاً .. فوجدتُ ذاك الثواب أيسر وأسهل الطرق

لنتهادى بعيداً عن عشاق الكتب والروايات

قريباً من الله،، لعلّ الله يُقرّبنا ويطوي الأرض ذات يوم لنلتقي ..

لا أدري لماذا اليوم أشعر أنني أحتاجك أكثر من أي وقتٍ مضى؟؟

ليتك تشعر كم أحتاج أن أهرب من هذا العالم الكئيب الشاحب إليك

أن أحتمي تحت مظلّة قلبك

أن ألتجأ إلى أمان روحك

أن أنسى ليالي الحزن واالانكسار

أن أودّع أمسيات البرد بدفء كفّيك

أن أبدأ صباحات الخلود بعينيك

أن أغلق الأبواب والنوافذ لأحتجز صوتك وصداه لي وحدي

وتغنّي لي ،، وتحكي لي قصص الأطفال وتقرأ لي القرآن

أحتاااااااج كلّ ذلك .. لكن كيف السبيل إلى وصالك دُلّني

وها أنا أعلن انكساري وضعفي وأخلعُ عني كبريائي المزيّف

أمامك وأراسلك ولكن لم تُجِبني !!

تمرّ الأيام وما من إجابة .. فتشتعل نيران قلبي

أحاول الاتصال بك وما من مجيب ....

تُراك غيّرت رقم هاتفك لتنساني أم لأنساك

وأشهد أن كلينا كاذب وسننسى أن ننسى

لكن لِمَ حدث هذا ؟؟

كيف تقطع أوهن حبلٍ يصلنا ؟؟

نسيتُ أن أُخبرك شيئاً آخر أحتاجه أهم من كل ماذكرته لك

أحتاجُ أن تهبني بعضاً من عُمرك لِتُجِبني على كل تساؤلاتي

التي لم تغادرني من يوم مجيئك وفي كل يوم كانت تزداد وتزداد

حتى أصبحت كأرشيف دائرة حكومية تكدّست فيه مجلّدات مهملة

أكل الدهرعليها والغبار غطّاها

أخشى أن تصبح أسئلتي مثلها وتبقى مُعلّقة على مشجب الانتظار

أتذكر يوم أخبرتني أنني بالنسبة لك ككتاب مفتوح .. تفهمني وتعرفني إن بُحتُ

وإن أسررت

تعرف ما أفكر به دون أن أصارحك بأفكاري

ما هذه المفارقة العجيبة ...!!!

أنت الذي لم تقرأ كتاباً في حياتك سوى كتب الطب !! كنتُ بالنسبة لك كتاباً

مفتوحاً وكأن كل سطرٍ فيه قد ذُيِّل بالشرح

وأنا التي أضعتُ عمراً بين الكتب ... كان عُمَري كتاب الغموض الذي إن وُجِد فيه شرحُ لكلمة

لكان الشرحُ مبهماً غامضاً أكثر من الكلمة ذاتها ...

كيف تقرأني بتلك السهولة وأعجزُ أنا عن قراءتك وفهمك

ما قيمة كل ماقرأته إن لم أتمكن من فهمك وقراءة خفاياك

أثقُ أنني لست ساذجة إلى الحد الذي يجعلني كتاباً مفتوحاً للجميع

لكن وضوحي وصراحتي معك هو السبب

فلو بادلتني الوضوح والصراحة لقرأتك وترجمتك إلى لغات العالم بأسره

لكنك لم تصارحني إلا بحبك لي وبعدها أغرقتني في بحر غموضك

....

رفاه العياش

رجل الغموض

(لا أدري ما أكتبه اعتذار أم اعتراف ..

ندم أم عتب ..؟!

لكن ما أعلمه تماماً أن أنثى أحلامي تستحق أن أعتذر لها وعلى الملأ

لكنني أنا مَن لاأستحق كل هذا الجَلدِ بسوط كلماتك

صدقيني لم أكن بحاجة إلى كل ذاك اللوم والصفع لأعرف كم أوجعتكِ

وكم آلامكِ رحيلي المفاجئ ....

منذ تركتكِ وأنا أبحثُ عنكِ وعني .. فوَ الذي خلق قلبي ليعشقكِ ما تركتكِ طائعاً ..

تركتكِ مُجبراً مُكرهاً ..

لا خوفاً كما أوهموكِ فأنت أكثر مَن يعلم أنني لست رجلاً يخاف من أحد إلا من خالقه

لكن رحيلي كان خوفاً عليكِ أنتِ ...

أعلم ما كابدته بعد سفري لكن السبب كان أقسى بكثير من وجع الفقد والشوق واحتضار الحلم ..

ولأني أعرف كم أحببتني ابتعدتُ لم أكن أريد أن أكون هماً يُثقلك

ولا وجعاً يُؤرّقك ،،، ظننتكِ ستشفين من وجع الحب بأقلّ الخسائر

وتبدأين من جديد لأنكِ قوية

وأصارعُ وحدي شبحَ الموت الذي قطع حبل الحلم ووأد أجمل وأطهر قصة حب

تركتُ هناك صديقاً لي يراقبكِ من بعيد ويزوّدني بأخبارك

لو تعلمين كم أوجعتني كلماتك .. ولا يحقّ لي أن ألومك

لكن الأكثر وجعاً هو وفاؤك وإخلاصك لحلمٍ وئدَ بدون ذنب منكِ ولا مني

لكن ثقي تماماً أني تمنّيتُ أن يستحيلَ حلمنا واقعاً كما تمنّيتِ وأكثر

وليس الذنب ذنبي إن كان عمري قصيراً

فقبل سفري بأسبوع جاءني اتصال من صديقٍ لي يعمل طبيباً في المستشفى الذي أعمل به

التي كنتُ قد أجريت فيها فحوصاتٍ وتحاليل كعادتي في كل سنة

ولم أهتم للنتائج ولا سألت عنها كنتُ منشغلاً بترتيب أموري للقياكِ

يا أجمل مَن رأيت .. حاول أن يُخفي علي الخبر أول إجازتي

لكن الوضع كان أخطر بكثير وتوجّب عليه كطبيبٍ وصديق مصارحتي

بأن الورم الذي اكتشفه لم يكن سليماً وأنه سينتشر بسرعة إن لم أخضع للعلاج

كيف لي أن أُخبركِ بذلك وأنتِ في نشوة الحلم

عدتُ ولم أُخبر أحد .. حبّكِ كان كالحبل الذي جعلني أتمسك بالحياة

ظننتُ أنني سأتعالج وأُشفى وأعود لأهرب بك كما وعدتك يوماً

لكن المرض كان أقوى من حبّنا وانتشر بسرعة مذهلة

ولم يستجب جسدي للعلاج

أتذكرين حين طلبتُ منك أن تعذريني كنتُ على يقينٍ أنني أستحقّ أن أُعذَر

فما كان أقسى من أن يُقال

كوني قوية و سامحيني يا أنثى أحلامي)

عنوان هذا المقال المكتوب بالخط العريض لفت نظري بشكلٍ كبير

أما مضمونه فقد أعماني تماماً

لا أحد يعرف قرابتي بهذا العنوان وأنه من إرثي العاطفي

هو كشيفرةٍ لا يعلمها أحد سوانا

لم أستوعب ما قرأت .. حاولتُ تكذيب عيناي

عاودتُ القراءة وأنا غارقة بدموعي وضربات قلبي المتسارعة

أسمعها كأصواتِ طبولٍ تصمّ أذناي عن العالم الخارجي

كيف أمضيتُ ليالٍ أبحث عن الأسباب وأُحيك لك أعذاراً تقنعني

وتبعدني عن شعورٍ قد يشوبه الكره

كيف لم تخطر لي فكرة الموت .. الموت الذي لم يفارق تفكيري

في كلّ ليلةِ يُتمٍ عشتها بعدك

كنتُ أشعر بقربه مني وأنتظره كلّ يوم أن يأتي وينهي حياتي التي لم أعد أحتاجها دونك

أنتظره ولا يأتي .. لكن ربما من من فرط حبي لك لم أحاول أن أفكر مجرد التفكير

أنه لم يأتيني لأنه كان يحومُ حولك... فقد أحببتك بقلب كل أم وبحنان كل أخت وبنبض كل عاشقة

علا صوت بكائي ونحيبي سارعتُ وأغلقتُ باب مكتبي

وعدتُ أقرأ من جديد .. وأختنق بكل حرف وكلمة

كيف فعلتَ هذا بي وبك ؟؟؟!!!

كيف أبعدتني عنك في أصعب الظروف؟؟

مَن أحقّ مني أن يكون بقربك في تلك الحظات ؟!

ليتك أخبرتني من قبل بمرضك لأحرقتُ المطارات إن لم توصلني إليك

ربما كنتُ أنا دواؤك لا عقاقيرهم تلك ...!!!

خرجتُ من عملي غير مهتمةٍ للدموع التي بللت وشاحي

ومرّغت بالكحل وجهي

الكحل الذي كنتُ أضعه ترفاً ليقين قلبي أن القدر سيضعك في أي لحظةٍ أمامي

فمُصابُ قلبي جلل ...

رحتُ أركض وأبكي وأجهش بالبكاء كطفلةٍ صغيرة أضاعت والديها

فكرتُ أن أذهب مسرعة إلى بيت أهل عُمر

أصارحهم بحبنا وأطلب منهم رقم هاتفه الجديد لأُكلّمه

وأخبره أنني أحبه برغم ما كان وما سيكون

وأني سأذهب إليه في أول طائرة وسأبقى بجانبه إلى أن يشفى

سنهزم المرض وسننجب أطفالنا ونحكي لهم قصتنا

كن قوياً لأجلي يا حبَّ عمري ...

ياذبحة القلب ووجع الروح وغصّة العمر

وصلتُ إلى الحي غابت الشمس عن وسط السماء واستدعت الغيوم السوداء مكانها

سمعتُ صراخاً وبكاءً ينبعث من بيتهم

رأيت نساءً يرتدين الأسود ...

تسمّرتُ مكاني وكأن الدموع أعمتني تماماً

انهمرت السماء بالمطر

لكأنها حزنت لحزني و شعرت بمُصاب قلبي فشاركتني البكاء

سقطتُ أرضاً وصرخت صوتاً أجزم أنه وصل إلى عُمر في مرقده

مات الحبيبُ

....

ومات قلبي معه وبقيتُ أنثى على قيد حُلم

....

رفاه العياش

الفهرس

عتاب المرايا ....

ذهبتُ بعطر وعدتُ بعطرين .....

ماذا لو ....

ناي ....

ويح قلبي ....

ذنبي

تذكرتُ أنني قوية ...

ندم ....

وما الحبُّ إلاّ دقتين ...

كتبتكَ لأتنفّس.........

القلب ومفتاحه في حقيبتك..

مرّت سنة ....

رجل الغموض.....

شكر خاص : إلى صديقتي (عفراء) التي شهدت مخاض روايتي الأولى

وأذّنت في أُذن كل كلمةٍ أنجبتها أبجديتي

دمتِ توأماً لروحي ...


كم تمنيت أن أكتب قصتي معك
وانا في بيتك
بقلمك الذي منحته الايام حقّ جوار قلبك
بقلبي وقلبك
لا بحُرقتي وغيابك ....